صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السادس



العدد الاول
من
السنة الخامسة

يناير سنة ١٩٣٦

سير الحوادث

كان الشهر الماضى عاصفا بجسام الحوادث . فان رئيس الوزارة الفرنسية المسيو لافال ووزير الشئون الخارجية البريطانية السر صمويل هور أخرجا للعالم مقترحات هى تمزيق للحبشة . ولكن ما كادت هذه المقترحات تخرج من ظلمة المفاوضات السرية الى النور حتى عم السخط جميع أنحاء العالم المتمدن . وسحبت المقترحات واستقال السر هور وعين المستر ايدن وزيرا للشئون الخارجية البريطانية بدلا منه

ولا تعرف الى الآن الطرق السرية التى سلكتها هذه المقترحات حتى أعلنت للناس . وقد ذكرت الصحف قصة لم تحقق عن علاقة ثلاث أسر ملوكية بها . ولو أن هذه المقترحات انفذت لما بقى أى معنى لبقاء العصبة . ولذلك فان سحبها بعد هياج الرأى العام برهان قوى على أن العصبة تدخر قوة كبيرة وأن الرأى العام يعتمد عليها . وهذا حسن

خطورة الحال الاوربية

ولا يستطيع المتأمل لاوربا الا أن يشم روائح البارود . فقد بلغ عدد الجواسيس الذين اعدموا الى منتصف ديسمبر الماضى ٣٧ جاسوسا . وهذا يدل مقدار الوساوس المساورة للامم الكبرى . وفى نهاية ديسمبر الماضى انشأت بريطانيا وزارة جديدة تسمى وزارة الدفاع

والعقدة القائمة الان هى مايحدث عندما تنفذ عصبة الامم الجزاء الاخير بحظر البترول ومشتقاته؟ فان ايطاليا لايمكنها ان تحارب بدون البترول الذى يستعمل فى الطائرات واتومبيلات النقل فى ميدان القتال بل يستعمل فى بوارج الاسطول الايطالي . واذا أصرت ايطاليا على الحرب فانها

لا بد ستصطدم ببريطانيا . ويمكن الايطاليين أن يبصروا بالعواقب وأن يخضعوا للحق الذى قررته عصبة الامم وان يلتزموا العهد الذى قطعوه مع هذه العصبة . وكل هذا يشرفهم . ولكن فى الدرامة بل المأساة التى نشهدها اليوم رجلا « عظيما » قد أصيب ببعض ادواء العظمة التى يراها القارىء مفصلة فى مقال الدكتور أمير بقطر فى هذا العدد

والذى لا يشك فيه أحد من كبار الساسة فى مصر وبريطانيا انه اذا وقعت الحرب فان النصر سيكون حليف بريطانيا

القتال فى الحبشة

فى أخبار القتال فى الحبشة فى الشهر الماضى ما يطمئن بعض الشىء . فان الايطاليين قد ابدلوا القيادة وعينوا المارشال بادليو لاسباب لايمكن أن تعزى الا الى انهم غير راضين عن سير القتال . ثم أنهم قد تقهقروا فى الميدان الجنوبى

ولكنا مازلنا على رأينا . وهو أن المقاومة الخطيرة التى يلقاها الايطاليون انما يلقونها من الطبيعة اى الجبال والامطار والاوبئة أما الجيوش الحبشية فلاقيمة لها لانها عزل من السلاح الحديث على الرغم من شجاعتها

وقد ثبت انه لايمكن الايطاليين أن يتقدموا الا ببطء عظيم . وهذا البطء هو الذى دعا موسولينى الى تبديل القيادة واخراج المارشال دوبونو . وذلك لان موسولينى يريد ان يتعجل فتح الحبشة حتى يحمل العصبة ازاء الامر الواقع . وعلى كل حال قد أصبح واضحا انه اذا كانت الحبشة ستنجو من الغارة الايطالية فلن يكون ذلك بجهودها بل بجهود عصبة الامم

المارشال بادليو

مصر فى الشهر الماضى

أعيد دستور ١٩٢٣ وهو الدستور الذى دأب الوفد فى طلبه ولم يتزحزح عنه . فاذا كان لاحد ان يسر بعودته فهو الوفد وجمهور الامة الذي يسير وراء الوفد واذا كان لاحد ان يحزن بعودته فهم اولئك الذين كانوا — ولا يزالون — يكرهون هذا الدستور لانه يحد من الاستبداد والنهب والسلب . وقد حاول اعداء الدستور فى مصر ان يفهمونا ان الانجليز هم الخصوم الحقيقيون للدستور . فلما ادرك الانجليز ذلك سارعوا الى التسليم به

وعلى كل حال يجب ان نعد عودة الدستور ظفرا للامة . وان صاحب الفضل فيه هو الوفد . ولكن هذا الدستور لاقيمة له ما دام يمكن ان يلغى او ينقح بدون رأى البرلمان الذى ينتخب اعضاؤه على أساسه . فاذا كان خصوم الدستور السابقون قد انقلبوا اصدقاء له فليثبتوا صداقتهم بمنع التنقيح او الالغاء الا بموافقة البرلمان . فقد الغي هذا الدستور ونقح اربع مرات فى اقل من ١٢ سنة فاذا عاد وهو عرضة فى المستقبل لمثل ماحدث له فى الماضى . فلن تكون له اية قيمة لاننا فى اى يوم سنراه ملغى . وفى أى يوم سنرى البرلمان ينعقد فى الصباح ويحل فى المساء . وفى اى يوم سنري اعضاء البرلمان يضربون بالعصى وزعماء الامة يداسون بالاقدام . ونحتاج الى ان نلغى عقولنا لكى تسمى هذه الحال حكما دستوريا

وقد تألف مايسمى « الجبهة الوطنية » للاصرار على عقد معاهدة مع الانجليز . ونحن نرجو ان تتم هذه المعاهدة باقرب وقت لان الحال المعلقة بيننا وبين الانجليز تؤخر كل شيء في بلادنا وتفتح الابواب لعناصر الظلام لكى تفسد فى البلاد وتؤخر الرقى الاجتماعي والسياسى والاقتصادى والثقافى

ولكن خطر الحرب التى توشك ان تقع فى اى يوم بين بريطانيا وايطاليا والتي سيكون بعض بلادنا ميدانا لها ربما يؤخر هذه المعاهدة . على أننا اذا أصررنا عليها فاننا لابد نائلوها لانه حتي على فرض ان الحرب واقعة ، فان مثل هذه الحرب لن تدوم اكثر من بضعة أسابيع

الاحسان المنظم ومتى يكون

مؤسسة أجنبية تضرب الامثال للناس

فى مثل هذا الفصل من العام الماضى عالجت هذه المجلة موضوعا إنسانيا جليلا أتت فيه على مظاهر البؤس والحرمان الحائقين بطائفة كبيرة من أبناء هذا الوطن . وكان فى مرجوها أن ماتعمله الامم الاخرى فى سبيل التخفيف يحتذى هنا مثاله ، وأن ينظم الاحسان على غرار ما تفعل أمم فى الذروة من الحضارة والوطنية والعطف الانسانى ، فيعرف المرء أين يضع الندى وأين يكف يده ويقسو

لكن يخيل الى كل من عرف هذه الديار، وقذيت عيناه بمرأى التسول المزعج فى الشوارع ، وعلى سلم الترام ، وفى عربات المترو ، ان لا أمل الآن على الاقل فى إجراء حازم يصدر عن الدولة ممثلة فى حكومتها لاصلاح هذه الحال ، التى

وزير الدعاية جوبلز يجمع التبرعات

تعلن البلاد الى الناس فى كافة نواحى المعمورة أسوأ إعلان . ومع هذا ، وعلى الرغم من اليأس البادى على وجوه المتمضين ، وهم كثيرون ، من دوام هذه الحال ، لانرى بدا من أن نعرض على أبصار القراء حينا بعد حين ، وعاما بعد عام ، ما تفعله أمة كألمانيا كل سنة وكل آونة ، لا لتمنع التسول ، فالتسول عندها ممنوع قانونا وفعلا ، ولا التطعم الجائع ، فليس فى بلادها الآن

من بجوع على الرغم مما يتخرص به خصومها الحاقدون على نهضتها ، ولـكن لتجعل الحياة سعيدة للفقير قبل الغنى ، والمعوز قبل المكفى

ليس فى القراء من لم يقرأ خبرا فى صحيفة يومية أو أسبوعية عن مؤسسة إعانة الشتاء . فهى مؤسسة ابتكرها النازى ليودع الشتاء القاسى ألمانيا وليس له أضحية واحدة، وكثيرة ما كانت فى الايام الغابرة ضحاياه ، وليمضى الشتاء على أهلها وليس بينهم من يحس له وقعا ، اللهم الا ما الفه الناس على السواء من جو الشمال

هذه المؤسسة التى تناولنا بالـكلام فى مناسبات سابقه هي جمع وصرف . جمع لمختلف التبرعات بمختلف الوسائل عينا ونقدا وصرف لهذا كله على المعوزين والمحرومين . على المحتاجين الي الملبس والمأكل والمشرب والدفء ، على من ينقصهم التدخين والتسلية واللهو وازجاء الفراغ . الى هذا الحد بلغت العناية بعيش الناس فى المانيا وحمايتهم من الحرمان



حكمدار برلين يجمع التبرعات

ليس البر عند الالمان اليوم أن يسدوا الرمق أو يدفئوا المقرور أو يكسوا العارى فحسب، بل البر عندهم فوق ذلك أن يهيئوا للشبعان أو الدفئان ، ممن قلت ذات يدهم ، أن يشهد المسرح ، والستار الفضى ويغشى الحفلات الموسيقية . ويكاد المرء لا يصدق أن تفعل كل أمة كانت الى الماضى القريب عرضة لاضطهاد الامم الاخرى ودعاياتها القوية ، ولا تزال الى اليوم تعانى من الازمات الاقتصادية فوق الذى تعانيه كثير من الامم الاخرى . ولـكنها الحقيقة المدعومة بالارقام الواردة فى احصاءات

رسمية أتيح لنا أن نطلع عليها وأن ندهش منها

ان فى المانيا ١٧٨ فى الالف من أولئك المحتاجين الذين تصيبهم الاعانة على مختلف ألوانهم . وفى جملتهم العاطلون والذين عصفت بهم الازمات فاستحقوا المساعدة . والذين تجرى عليهم شىء من الاحسان ، والذين يعملون مددا قصيرة . وذوو هؤلاء جميعا

وقد بلغ ماجمع لهم نقدا وعينا فى سنة ١٩٣٤ـ ١٩٣٥ سبعة وستون وثلاثمائة مليون مارك ونصف المليون . مبلغ جسيم ولا شك جاد به المحسنون على اختلاف طبقاتهم ووظائفهم . أفرادا وجماعات مصالح ونظما وجمعيات



عجوزان المانيتان تجمعان التبرعات

وقد فرض على القادرين من الالمان نسب معينة يدفعونها ستة أشهر كاملة وتقطع من مرتباتهم أوأجورهم أو ايراداتهم فلايتلكأ أحد فى الدفع . وفرضت المتاجر والانظمة الاقتصادية والمصالح الحكومية على أنفسها أتاوة معينة تدفعها فى هذه السبيل فهى تقدمها للفقراء والمعوزين فى طيب خاطر . وفرض الجمهور على نفسه أن يجعل غداءه فى كل يوم أحد لونا واحدا ويتبرع بما كان حريا أن ينفقة على بقية الالوان ، للفقراء والمعوزين

أما الشوارع فترى فيها فتيات يبعنك شارات بعينها وزهرات صناعية ووردا من الدنتلا يؤول دخلها الى الفقراء . ووزراء وأعيانا وفنانين وكل ذى مقام يحملون صناديق التبرعات فى يوم التضامن القومى يجمعونها من الجمهور ووسط إقباله المشهور . والشرطة ركبانا ومشاة وكلابهم معهم يعرضون جميعهم صناديق التبرعات على الجمهور وسط مظاهر من الالفة والمفاكهة لم نألفها

هنا بين البوليس والجمهور

ترى هذا فى الطرقات على نحو ما تثبت الصور المنشورة مع هذا المقال فتقول أين نحن من هذا الاحسان المنظم والاقبال النادر المثال على فعل الخير والقوم بعد مأزومون. وظروفهم الدولية تقتضيهم أبهظ التضحيات لكنها روح سرت بين الالمان حين خلت نياتهم للوطن وحده فأتوا بالمعجزات

والاطفال لن يقال لهم فى ألمانيا حين يحل عيد الميلاد « لادمية هذا العام » بل ان هذه المؤسسة لتعنى بالاطفال ولعبها أكثر مما تعنى بالكبار وحدهم ولعل القارىء لم يفته ما جاءت به البرقيات فى ٢٢ ديسمبر عن خطبة جوبلز وزير الدعاية الالمانية فى الحفلة العامة التى أقامتها « مؤسسة اعانة الشتاء » فقد قال . « أن المؤسسة قد جمعت اليوم فى المانيا كلها فى ثلاثين الف حفلة كهذه الحفلة خمسة ملايين ومائتى الف طفل وطفلة مع آبائهم . وذلك لتتيح السرور لكافة الاطفال الالمان الفقراء منهم والمحتاجين ، ولتجعلهم كغيرهم من القادرين يحسون بهجة العيد . قال « وليس صحيحا أن فى المانيا كثيراً من الفقر والبؤس ، فقد وجهنا جهودنا جميعا لتخفيف الفاقة والبؤس وبذلنا فى هذه السبيل كل ما فى طاقة البشر بذله ، وعلينا جميعا أن ننهض بباقى العبء الذى لا يزال ملقى على عواتق المواطنين أجمعين »

وبعد فان الحضارات جميعا قد تداولتها الامم واحدة بعد أخرى وهى فى هذا تبتكر وتقلد فاذا كنا نأخذ اليوم من الغرب مظاهر حضارتنا فلم ننس أن في جملة مظاهر هذه الحضارة مايعمل هناك للفقير ؟ وقد حضت الاديان جميعا على فعل الخير لكن هناك أقواما كثيرة لا تزال بينها وبين فعل الخير جهود لم تبذل فحبذا لوتبذل . وروح الاحسان في مصر مذكورة مشكورة لكنها غير منظمة فمتى يتولى أولو الامر تنظيمها فتصبح البلاد وليس فيها جائع أو عار ، وليس فيها متسول محروم ، وآخر يكتنز المئات والالوف من الاحسان الضائع فى غير وجهه الموضوع فى غير موضعه ؟

أم درمان

أم درمان هى تلك المدينة الجميلة ومحبوبتنا نحن أبناء السودان . لانها تمثل الحياة السودانية فى ثوبها الجديد تمثيلا صادقا ناطقا

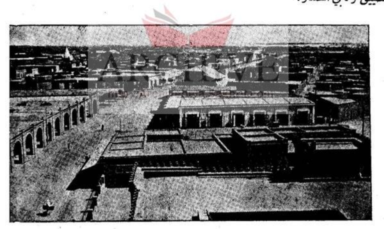
فها هنا بأم درمان تستطيع أنت المصرى مثلا أن تجتمع بصفوة الشباب السوداني المثقف الناهض الطامح ! ! . وأنت إذا أتيح لك أن تطارح أدباء السودان الرأى سمعت منهم ملاحظات لها قيمتها فى الادب والاجتماع والسياسة العامة . وهم علاوة على تضلعهم فى اللغة العربية يتكلمون الانجليزية بلباقة وطلاقة لسان

فى سنة ١٩٢٩ زار السودان للمرة الاولى المؤرخ الالماني والاديب العالمى المشهور أميل لودفيج واحتفل به أدباء الشباب اعترافا بفضله على الادب العالمى . وقد نشرت احدي المجلات فى تلك السنة صورة تذكارية تمثل أميل لودفيج والسيدة عقيلته جالسين بين أدباء السودان وقد كانوا موضع اعجابه وتقديره وكان يراسلهم بعد عودته الى بلاده . وكتب يوما عن زيارته للسودان فقال ان الشاب السوداني المتعلم يحدثك اليوم عن العقل والعاطفة -حديثا عاليا- كما يحدثك عنهما الانجليزى في لندن والفرنسى فى باريس ! !

منظر لقبة المهدى بام درمان كما كانت عقب استرجاع الجيش المصرى للسودان وهذه الثغرات التى بها من مقذوفات المدافع . وقد تهدمت هذه القبة الآن ولم يبق منها غير قاعدتها .

وقد قال أيضا فى أثناء وجوده بالسودان مظهرا سروره بتقدم السودانيين : ان كل القطارات والاتومبيلات التى أقلتنى بالسودان كان سائقوها سودانيين ! . والأدهش من هذا أننى عندما أصابنى المرض يوم زيارتى لخزان سنار قام بمعالجتى أحد الدكترة السودانيين !

أشرت فى مستهل هذه الكلمة الى أن أم درمان مدينة جميلة ولكن جمال أم درمان جمال معنوى فطرى يكاد يخلو من التزويق أو قل انه جمال ديموقراطى متواضع . فهو مثلا ليس كجمال القاهرة الارستوقراطي المتأنق الشامخ بأنفه الذي تمثله لك عمارات شارع فؤاد وقصور هيليوبليس الذاهبة صعدا الى السماء . والآن دعنا نتساءل عما ترمز اليه هذه الحيشان الواسعة التى تحيط بهذه الحجر الارضية التى نسكنها بأم درمان ! وعندى أن هذه الحيشان الطينية المتباعدة الاركان ان دلت على شيء فانما تدل على أن النفوس السودانية على بساطتها نفوس كبار واسعة الامل تنفر من التضييق وتأبى الصغار !



منظر عمومي لمدينة أم درمان مأخوذ من الطائرة

ثم انها فوق هذا تقدم لك السوداني رجلا كريما مضيافا

هذا ومنشىء مدينتنا هذه هو ذلك الزعيم الدينى السودانى المعروف محمد احمد المهدى . أنشأها سنة ١٨٨٥ بعد مصرع غوردون ودخوله الخرطوم فاتحا

ويبلغ تعداد سكان أم درمان الآن ١١٠٩٥٩ نسمة جلهم من الوطنيين . ومن أشهر آثارها منزل خليفة المهدى

المبارك ابراهيم

الآنية الصينية


زهرية من الصيني من عصر سنفرنج (٩٦٠ — ١٢٢٩ م)

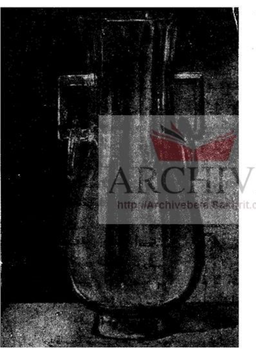
اقيم فى لندن فى الشهر الماضى معرض الفنون الجميلة الصينية . وقد أعارت حكومة الصين هذا المعرض مئات من التحف التى كان الامبراطرة يقتنونها فى قصورهم وهذه التحف تختلف اذ منها الرسوم والتماثيل كما أن منها الآنية ولكن هذه الاخيرة أكثر مقدارا وتنوعا .

وقد كتب المستر ونكورث مقالا يعلل به كثرة الآنية الصينية وتنوعها وجمالها . فقال إن السبب لذلك أن الصينيين يحبون الطعام والزهر ومن أحب الطعام تأنق فى اختيار آنيته وتزويقها وكذلك من يحب الزهر يختار ما يلائمه من الاناء الجميل

وتأنق الصينيين فى الطعام معروف . فاننا حين نتأنق ونغالي نقنع بخمسة أو ستة الوان . ولكن الصينى يفاخر بثلاثين أو أربعين لونا . وهو ليس منهوما يطلب الكثرة اذ هو يقنع من اللون الواحد بلقمة . ومن الصينيين أخذنا « الصينية » التى كنا نضع عليها أطباق الطعام قبل ان أن تتفشى بيننا المائدة الاوربية . ومن الصين عرفنا كما عرف العالم كله آنية « الصينى » ومن الصين كذلك عرف العالم الشاى

ولكن فى الصينيين صفة أخرى لاتعرف عند أمة أخري غير اليابانيين نعنى بها حب الزهر والشجر . فان شجر التفاح هناك مثلا يغرس ويربي لنوره أكثر من ثمره

وكل من الصينى والياباني يعنى بشراء غصن من التفاح يحمل مجموعة من النور ولكنه قد يمر عليه العام فلا يبالى أن يشترى التفاح . وقد عنى الصينيون لهذا السبب باختراع الاصص لزرع أشجار الزهر الصغيرة كما عنوا بصنع الزهريات التي تحمل طاقات الزهر ولكن جمال الصنعة حملهم على الخروج بها عن الاصل والمنفعة الي الفن والجمال سواء فى آنية الطعام أم فى الاصص والزهريات فانهم تأنقوا فيها حتى جعلوا منها آثارا فنية يحتفظ بها لذة العين والذهن



زهرية من البلور من القرن الثامن عشر

ولذلك صاروا يصنعون الطبق بحيث لايقصد منه أن يؤدي خدمة على المائدة اذ يكفى أن يغذو العين بجمال صنعه وبهاء رسومه فهو أجدر أن يعلق على الحائط للمتعة الفنية ولا يوضع على المائدة للمنفعة . وكذلك الحال فى الزهريات والاصص فانهم تساموا بها الى الفن فصاروا يصنعون احداها وهى تعلو على قامة الانسان وهي فى اسراجها وجمال رسومها لاتحتاج الي أن يطلب منها الناظر اليها منفعة أخري

قلب راقصة

للدكتور ابراهيم ناجي

أمسيت أشكو الضيق والأينا ... مستغرقا فى الفكر والسأم
فمضيت لا أدري إلى أينا ... ومشيت حيث تجرنى قدمى
فرأيت فيما أبصرت عينى ... ملهى أعد ليبهج الناسا
يجلون فيه فرائد الحسن ... ويباع فيه اللهو أجناسا
بغرائب الالوان مزدهر ... وتراه بالأضواء مغموراً
فقصدته عجلا ولى بصر ... شبه الفراشة يعشق النورا !
ودخلته أجتاز مزدحما ... بالخلق أفواجا وأفواجا
وأخوض بحراً بات ملتطما ... بالناس أمواجا وأمواجا
فقدوا حجاهم حينما طربوا ... ودووا دوى البحر صخابا
فاذا استقروا لحظة صخبوا ... لايملكون النفس اعجابا
متوثبين يميل صفهم ... متطلع الأعناق يتقد
ومصفقين علت أكفهم ... فوارة فكأنها الزبد

لم لا أثور اليوم ثورتهم ؟ ... لم لا أجرب ما يجربونا
لم لا أصيح اليوم صيحتهم ؟ ... لم لا أضج كما يضجونا ؟
لم لاتذوق كؤوسهم شفتى ؟ ... ان الحجا سمى وتدميرى
فى ذمة الشيطان فلسفتى ... ورزانتى ووقار تفكيرى
ياقلب ! ضقت وها هنا سعة ... ومجال مصفود باغلال
أتقول أعمار مضيعة ؟ ! ... ماذا صنعت بعمرك الغالى ؟!
أنظر تر السيقان عارية ... وتر الخصور ضوامراً تغرى
وتجد عيون اللهو جارية ... فهنا الحياة ! وأنت لاتدرى
من هاته الحسناء ياعينى ؟ ... السحر كلها وظلالها
كالطير من غصن إلى غصن ... وثابة ، وثب الفؤاد لها !
وتراه حسنا غير كذاب ... لا ما يزيفه لك الضوء
ويريد فتنتها با غراب ... حزن وراء الحسن مخبوء
ثم اختفت والجمع يرقبها ... ويلح : عودي ! ليس يرحمها
هى متعة للحس يطلبها ... وأنا بروحى بت أفهمها !

ورأيتها فى آخر الليل   فى فتية نصبوا لها شركا
يعلو سناها الحزن كالظل   مسكينة تتكلف الضحكا
فمضيت توا ، قلت . سيدتى!   زنت المراقص أيها زين !
هل تأذنين الآن ساحرتى   تأكيد اعجابى بكأسين ؟
فتمنعت وأنا ألح سدى   بالقول أغريها وأعتذر
فاستدركت . قالت : أراك غدا   ان شئت . انى اليوم أعتذر
وتحولت عنى لرفقتها   ما بين منتظر ومرتقب
فتانة تغري ببسمتها   وتحدد الميعاد فى أدب
حان اللقاء بغادتى وأنا   أخشى سرابا خاطفا منها
متلهفا أستبطىء الزمنا   وأظل أسأل ساعتى عنها
وأجيل عين الريب ملتفتا   متطلعا للباب حيرانا
واقول . مايدريك أي فتى   هى فى ذراعى حبه الآنا !
من ذا يصدق وعد فاتنة   لاترحم الارواح اتلافا
أنثى تلاقى كل آونة   رجلا وترمى الوعد آلافا
وهممت بعد اليأس أن أمضى   فاذا بها تختال عن بعد
ميزتها بشبابها الغض   وبقدها ، أفديه من قد ؟
يا للقلوب ملتقى اثنين   لا يعلمان لأيما سبب
جمعتهما الدنيا غريبين   فتآلفا فى خلوة عجب
عجبا لقلب كان مطمعه   طربا فجاء الامر بالعكس
وأشد ما فى الكون أجمعه   بين القلوب أواصر البؤس
من أنت يامن روحها اقتربت   منى وخاطب دمها روحى
صبته فى كأسى اوما سكبت   فيه سوى أنات مذبوح
عجبا لنا! فى لحظة صرنا   متفاهمين بغير ما أمد ؟
يامن لقيتك أمس! هل كنا   روحين ممتزجين فى الابد ؟ !
هاتى حديث السقم والوصب   وصفى حقارة هذه الدنيا
انى رأيت أساك عن كثب   ولمست كربك نابضا حيا
لاتكتمى فى الصدر أسرارا   وتحدثى كيف الاسى شاء
أنا لا أرى إثما ولا عارا   لكن أري أمرأة وبأساء
تجدين فكرك جد مبتعد   والناس نحو سناك دانونا
وترين حالك حال منفرد   والقوم كثر لايعدونا!
وترين أنك حيثما كنت   ترضين خوانين أنذالا !

يا حرها من عبرة سالت من فاتك العينين مكحول

وعذابها من وحشة طالت وحنين مجهول لمجهول

أفنيت عمرك فى تطلبه ويكاد يأكل روحك الملل

ماذا بدا من تعجبين به وتقول روحك ها هو الأمل!

أدميت قلبك فى تقربه والقلب ان يخلص يهن دمه

فاذا حسبت بأن ظفرت به فازت به من ليس تفهمه

سكتت وقد عجبت لخلوتنا طالت كأنا جد عشاق

وأقول . ياطربا لنشوتنا صرعى المدامة والجوى الساقى!

أفديك باكية وجازعة قد لفها فى ثوبه الغسق

ودعتها شمسا مودعة ذهبت وعندى الجرح والشفق

تمضى ، وتجهل كيف أكبرها إذ تختفى فى حالك الظلم

روحا اذا أثمت يطهرها ناران . نار الصبر والالم !



الراس سيوم قائد القوات الحبشية فى الميدان الشمالى

بلادنا والطيران

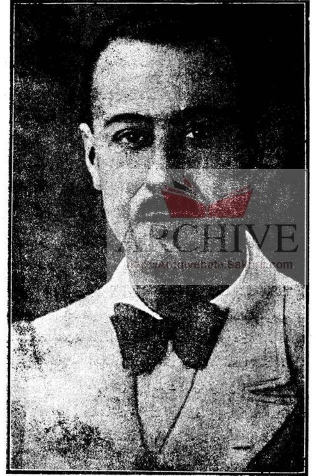
بقلم الطيار احمد اسماعيل

الطيران هو آخر ماوصلت اليه وسائل المدنية الجبارة لجيلنا الحاضر . تلك المدنية التي لم تكتف بالتلغراف والتليفون والراديو ولم تكتف بالمدائن التجارية تمخر المحيطات والبحار فتجمع بين قارات الدنيا الخمس أو قطارات السكك الحديدية والاتومبيلات فذهبت الى امتطاء الهواء واعتلاء السحب على ظهور الطائرات المختلفة العديدة التي جمعت من أسباب الترف فى الامان التام ما لم يتوافر بعد فى وسائل النقل الاخرى . وعودة بسيطة الى احصائيات حوادث الطيران فى الاعوام الماضية من سنة ١٩٣٠ الى ١٩٣٤ تدلنا دلالة ملموسة على ان الطيران كوسيلة للنقل والمواصلات اكثر أمانا وأوفر راحة عن غيره فضلا عن الاقتصاد فى وقت السفر والانتقال . ووقتنا فى هذا العصر له حسابه وكل دقيقة منه لها ثمنها وقيمتها الكبرى

والطيران ينقسم الى عدة اقسام فهو من الناحية الحربية يعد أهم الوسائل التى تعتمد عليها كل ممالك العالم فى سبيل الذود عن كرامتها والدفاع عن كيانها وحماية تخومها . ولعلنا لم ننس بعد ذلك الدور الهام الذى لعبته الطائرات الحربية أبان الحرب العالمية الماضية سواء من ناحية الهجوم على خطوط العدو وعرقلة سيرها او ابادته أو من ناحية اكتشاف مواقعه ومكامنه بل احصاء قواته وذخائره ذلك فضلا عن ايصالها الرسائل الحربية الهامة بين مختلف وحدات الجيوش فى شتى الاماكن لتنظيم خطط الهجوم والدفاع وربط حركات الوحدات بعضها ببعض بعد أن حالت اعمال الجاسوسية المنظمة دون ايصال هذه الرسائل على أسلاك البرق بغير أن تتسرب الي الاعداء

ومصر التى حبتها الطبيعة بموقع جغرافى وضعها فى مركزها السياسى الدقيق وجعلها مطمح انظار الدول وموضع تهديدهم مفتحة الجوانب والحدود . ليس فيها حصن طبيعى واحد تعتمد عليه فى حالة المفاجأة كان يجب أو ما يجب أن تهيأ باسطول هوائي حربى عظيم يلقى لصد ماقد يأتيها من غارات بحرية أو هوائية من ناحية ساحلها الشمالي أو يحمى حدودها الغربية الشديدة الخطر على سلامتها واستقلالها . ورحلة هوائية لاحدنا بين السلوم ومرسى مطروح أو بين مرسى مطروح والاسكندرية أو منها الى بورسعيد والعريش ستجعله من غير شك يقدر خطورة الموقف ويقدر

حاجة مصر الى تقوية سلاحها الهوائى قبل كل شئ آخر . وحرام أن نسكت عن سلاحنا الهوائي وهو عنوان مجدنا وشعار قوتنا أمام العالم المتحفز اليوم . وحرام حقا أن نسكت على ضباطنا الطيارين الشجعان وهم عنوان فخرنا ان يقصر عملهم على الاستكشاف وايصال البريد فحسب . انهم عقبان خلقوا للقتال فلن تقتلوهم . يجب على مصر أول ما يجب حكومة وشعبا أن تولى هذه الناحية الهامة من جيشها عنايتها . ويجب على الشعب ان لايبخل ويبذل كما بذل شعب شقيق من قبل فان فى سلاح الطيران حياتنا فيه حمايتنا وفيه رمز قوتنا وفيه المثل الاعلى لجيشنا العتيد



الطيار كمال علوى بك مدير شركة مصر للطيران

هذه كلمتى التى سمح بها المجال عن الطيران الحربى وأما الطيران من ناحيته المدنية فيعد الآن من أهم طرق الدعاية والاعلان عن الصناعات المحلية والمنتجات

المختلفة ونقلها من أقصى الاماكن الي أقصاها فى وقت قصير قبل أن يتطرق اليها العطب او التلف وكلنا نذكر مشروع نقل الازهار المصرية والورد الى أوربا لذى قام بتجربته صاحب السعادة محمد طاهر باشا رئيس نادى الطيران المصرى بواسطة الطائرات وقد اسفرت التجربة عن نجاح كبير . اذ تم وصول الورد والزهور وهي فى حالة طازجة نضرة الى فينا وبرلين على ظهر الطائرة فى حوالى ثمانى عشرة ساعة .



الطيار أحمد اسماعيل والسيدة زوجته

ولا يلبث المشروع أن يخرج الى خير الوجود فيخلق بذلك للازهار المصرية سوقا جديدة وبابا لرزق جديدا للايدى العاملة المصرية

وكم كان للطائرات من فضل فى انقاذ أرواح اليائسين من المرضى سواء بنقلهم فى راحة وسلام الي حيث المستشفيات الكاملة وفيرة الاطباء أو بنقل الاختصاصيين الى مقر المرضي البعيد . ليس هذا فى أوربا وأمريكا فقط بل فى مصر أيضا حيث تنبهت جمعية الاسعاف الى فائدة الطيران فيما كرست له خدماتها فعقدت اتفاقا خاصا مع شركة مصر للطيران يقضى بتخصيص احدي طائراتها لاعمال الاسعاف وكان للطيار خليل صابر الكاشف ورئيس مدرسة الطيران بالماظه فخر الاولية فى تنفيذه اذ نقل السيده زوجة أحد أطباء المستشفى القبطى من رأس البر الي القاهرة حيث أسعفت بالعلاج . وقد قطع بالمريضة المسافة فى ساعة واحدة بينما كانت

تحتاج لنقلها بوسائل النقل الاخرى الى الابحار أولا الى دمياط ومنها بالسكة الحديدية الى القاهرة ولن تقطع هذه المسافة بهذه الطريقة فى أقل من يوم كامل

كما أسعف كاشف بطائرته أيضا الوجيه اندرو بيطار وزوجته وكانا يصطافان فى جهة اسمها رأس زعفرانه على ساحل البحر الاحمر وفاجأهما المرض فأحضرتهما الطائرة من هناك الى القاهرة



الطيارة لطفية النادى

فى ساعة واحدة بينما كانت الرحلة بعينها تستدعى انتقالها اولا بالاتومبيل الى السويس فى طريق خشن وعر ومنها بالسكة الحديدية الى القاهرة وهذه وحدها تأخذ من الزمن ست ساعات

وغير هذه وهؤلاء فقد انقذت الطائرات المصرية حياة سيدة عزيزة على أحد ملوك أوربا كانت تقيم فى الاقصر حيث أصابتها حمى شديدة فنقل اليها الاطباء والادوية بالطائرات حتى

تم لها الشفاء.

وقد خدمت الطائرات كذلك فى الابحاث العالمية العديدة ومكافحة التهريب ومسح الاراضى وتطهير الزراعات كما استعملت فى الدعاية الانتخابية ببعض البلاد بأن وزعت المنشورات وأعلنت عن المرشحين بكتابة اسمائهم او اسماء الاحزاب التى ينتمون اليها بالخط الكبير على اجنحتها أو بواسطة نشر هذه الاسماء فى السماء بحروف من دخان كما نقلت المرشحين الى مختلف الاماكن فى دوائرهم الانتخابية. وكم كان رائعا أن ترى مرة طائرة تحمل خطيبا انتخابيا يلقى بيانه من الهواء فتصل عباراته الى اسماع الناس بواسطة جهاز مجهر للصوت كأنه وحى السماء أو صوت الملائكة. كما كانت لفرقة الطيران بالحزب الاشتراكى الوطنى فى المانيا أى حزب هتلر فضل كبير وعمل هام فى سبيل الدعاية له ونشر مبادئه فى أنحاء المانيا جميعا وقد كان نجاح هذه الفرقة كبيرا فى حرب الانتخابات النيابية وبفضلها بجانب مبادىء الحزب نال الحزب الاغلبية البرلمانية كما نجح هتلر بعد ذلك فى رياسة الجمهورية الالمانية

الطيار عثمان حمدى

والطيران كرياضة بدنية يعد فى الواقع من أمتع أنواعها وأحبها إلى النفس. وهل ألذ للنفس من أن تراها فى المطار الفسيح وسط رجال الطيران وفتياته وكأنها بين أفراد أسرة واحدة يجبوها المرح ومذهبها الغبطة والاخلاص. لانفص ولا لانقد ولاحسد

وهل امتع للنفس من أن تراها تعتلى مكانها فى الطائرة ولما تمر دقيقة وبحركات بسيطة ترتفع فوق الجميع وبعد دقيقتين هى فوق المدينة بغبارها وضجيجها. يسمع الناس أزيزها فتشرئب أعناقهم لرؤياها فى علوها وهى عنهم لاهية بمتاعها. وإذا ما اكتملت دقيقتها الخامسة تركت عالم المدينة وارتفعت فوق السحب فاذا نظرت تحتها فهي فى عالم ثان فلا ترى إلا السحاب المتلاطم

المختلف الالوان سريع الحركة المتراص تراص الجبال الشامخة . وإذا تطلعت الى فوقها رأت السماء ناصعة الزرقة صافية الاديم وحولها الشمس الساطعة التي لم يرها سكان المدينة في يوم اشتدت حلكته في الحق . أنها لرياضة نفسية كبرى وفي الحق أنه لمتاع كبير

وغير هذا الاعتبار اعنى أن تطير للنزهة فهناك اعتبار آخر ذلك امكان وصولك الى غابات السودان وأدغاله في يوم وبعض يوم للصيد والقنص كما يمكن الانتقال بسهولة بين القاهرة والاماكن المختلفة للصيد البرى والبحرى كما تهاء أو كما تشاء مواسم الصيد العديدة

ومصر وقد جعلها مركزها الجغرافي أيضا حلقة وصل أو كما يقول الانجليز «وصلة كلابهام» بين ممالك أوربا وافريقيا وآسيا فقد جعلها جوها وسهولة أرضها من أهم مراكز الطيران في العالم . ففى مصر تلتقى الطائرات القادمة من الهند أو جنوب أفريقيا وشرقها مع هذه القادمة من اسوج أو ألمانيا وفرنسا أو الصين واليابان . وحقا لقد أصبح مطار الماظه أشبه شيء بمدينة جنيف في وقت الازمات السياسية الدولية واجتماع عصبة الامم

وفي مصر تستطيع الطيران كل يوم وتستطيع التدرب في كل وقت حتى لقد ضربت مدارسها رقما قياسيا في التعليم والتخريج واستطاعت في وقت قصير اخراج المئات من مهرة الطيارين . وأنا الآن لا ألقى الكلام جزافا بل انكم لتجدون بينكم الآنسة لطفية النادى أول فتاة مصرية ضربت بسهم في ميدان الطيران المصري فنالت شهادته في وقت قصير واشتركت في مسابقة دولية جمعت من نسور الدول المختلفة ما تعلمون. وقد كان فيهم المحترف والهاوى فقهرتهم فتاتنا الصغيرة . وراح اسمها يدوى في أنحاء العالم فكانت موضع الاعجاب والتقدير وكانت لمصر وفتياتها خير دعاية أمام أمم العالم وقد عرف في أوربا وغيرها بفضل الطيارة لطفية أن فتاة مصر خرجت من عقالها وأنها ساهمت في نهضة التقدم والعمران كتفا إلى كتف مع شبابها الناهض بل قل علم الناس في العالم الغربى عن طريق لطفية وحدها أنه لم يبق في مصر «حريم»

وهذا الطيار حاذق أحد خريجى مدارس شركة مصر للطيران وتاريخه في الطيران ما زال عالقا باذهانكم وكانت رحلته إلى الهند بطائرته الصغيرة وستظل موضع مجده اذ استطاع في بعض مسافات الرحلة أن يضرب أرقاما طيبة كما كان في رحلته مثال الشجاعة والاقدام بل مثلا طيبا للنبوغ المصرى

وفي اعتقادى أنه لم يكتف بعد بما قام به ولم يكتف بعد بالدعاية الطيبة التي عملها لبلاده

فى البلاد الشرقية بل سيقوم مرة أخرى وقد يقوم مرارا بماسيجعل العالم يتكلم عن مصر وشجاعة أبنائها ومساهمتهم فى كل خير لها

وغير لطفيـة وحاذق فقد حصل الطيار أمين سيف وهو أحد طلبة مدرسة مصر للطيران على شهادة الطيران التجارى على حداثة سنـه وعهده بالطيران بعد زميله الطيار على يحيى . وانى وقد خبرت هذا النسر الصغير أستطيع أن أؤكد أنه سيكون له فى الطيران المصري صأن وأى شأن

وغير هؤلاء فلدينا الطيار عثمان حمدى خريج مدرسة مصر للطيران أيضا و هو فضلا عن كونه طيار بالطائرات ذات المحرك فقد برع فى الطيران الشراعي وقد بذل مجهودا مشكورا فى نادى الطيران الشراعى المصرى كما وضع تصميما للطائرة «السفروته» التى كتبت عنها البلاغ الغراء كثيرا

وقبل هؤلاء فهناك أوائل الطيـارين كمال علوى وحسن انيس وفؤاد قطبى ورياض موسى وصدقى وسالم ورشدى ورحلاتهم الطيبة معروفة وجهودهم فى سبيل الطيران المصري تذكر فتشكر

هذا هو مجهود الشباب . هذا هو مجهود الافراد . فماذا أعدت أمتهم لهم ؟ لاشىء اكثر من الكلام والكتابة . وماذا يفيد الكلام وتفيد الكتابة ؟! نريد أن نرى فى أمتنا روحا أخرى بالنسبة للطيران . نريد أن نرى بين جرائدنا جريدة تقوم بما قامت به احدي الجرائد الالمانية التى أوفدت الآنسة ايللى باين هورن بطائرة لتقوم بها برحلة حول العالم تدعو لألمانيا . وشاء الحظ أن تكسر هذه الطائرة فى شمال افريقيا . فلم تشأ الجريدة أن تصلح الكسر البسيط وتنتظر اصلاحه بل أرسلت طائرة أخرى جديدة للآنسة هورن أتمت عليها رحلتها وعادت الى شعبها لتتقبل منه التقدير العملى وقامت برحلة أخرى عادت بعدها لتتقبل الصليب الحديدى من يد هندنبرج . . لا تضحكوا ياسادة . فهذه الآنسة زميلتى . وتخرجت معى . هى تطير وتطير ويساعدها شعبها على الطيران ونحن قعود . هى تطير حول العالم مرات ومرات ولطفية لا تطير الاحول المطار ولم هذا؟ لأن شعب الطيارة الاولى يشجعها عمليا ونحن لانشجع الا بالكلام . . . ان بين شبابنا من خلق ليكون طيارا بدمه ومن هو مستعد للتضحية وللقيام بما تطلبه منه بلاده فلم لا يؤلف أحد أنديتنا أوحزب من أحزابنا فرقة للطيران يبعث بافرادها للدعاية لنا فى الخارج فى وقت نحن أشد مانكون فيه حاجة الى هذه الدعوة . . ان المستعمر يحاربنا بكل سلاح حتى أن هناك فى أوربا من لايزال يعتقد أننا أقرب الي الهمجية منا الى الانسانية وهناك من يعتقد اننا من قوم نيام نيام . اننا فى حاجة ماسة الي الدعاية وبين الطيارين المصريين من يتحرقون لخدمة بلادهم وبينهم الا كفاء

الذين يمكن أن يعهد اليهم بهذه الامور . أولم يصل أحدنا الى درجة طيران ثم الى درجة رئيس مدرسة طيران يعلم الانجليز والطليان ومختلف الجنسيات كما يعلم المصريين أبناء جلدته ؟ وها هو كاشف مذ تسلم المدرسة يضرب رقما قياسيا فى سرعة اخراج الطلبة وتدريبهم تدريبا تاما كاملا فى أقصر وقت . من ذلك أن المستر كدلفين تخرج وحصل على شهادته بعد عشر ساعات فقط منها وقت الامتحان كما طار حسين فتحى بمفرده بعد خمس ساعات وخمس وخمسين دقيقة وحصل على شهادته بعد ثماني ساعات وخمس وعشرين دقيقة . الامر الذى لم يسبق له مثيل فى مدارس الطيران والذى يدل على مبلغ استعداد المصرى ونبوغه فى كل أمر يتولاه

فى مصر اكثر من مائة طيار مصرى كلهم مستعد لتلبية نداء الواجب . كلهم يرحب بالعمل لمصلحة بلده . وطائرتين او ثلاثا يشتريها حزب من الاحزاب المصرية الغنية برجالها وما لها سوف لاتصل فى ثمنها جميعا الى ماقد يصرفه هذا الحزب بعينه فى عمل بسيط من اعمال دعائية اومصاريف ايفاد عضو من أعضائه الى اوربا ليدلى بتصريح او اثنين تأثيرهما وقتى ان وجد

ان عجبى فى الحق لـكبير كيف تهمل احزابنا هذه الناحية العظيمة من نواحى النشاط القومى فلا تستغلها ولا أقول لمصلحة الحزب وانما لمصر ومصر وحدها حتى يأتى اليوم القريب الذي نستطيع أن نقول فيه بحق « مصر فوق الجميع »

وهناك ناحية أخرى من نواحي النشاط للطيران فى مصر يجب أن نذكر لتشكر . هذه ناحية نادي الطيران المصرى الذى يرأسه صاحب السعادة محمد طاهر باشا . وان ذكرت النادى وذكرت رئيسه فيجب ان اذكر تلك التضحيات الـكبيرة التى نبذلها هذه الهيئة فى سبيل الطيران وفى سبيل مصر . وكلكم تذكرون ذلك السباق الدولى الذى نظمه نادى الطيران فى ديسمبر سنة ١٩٣٣ . وقد قام له بدعاية واسعة النطاق فى كافة انحاء العالم ودعى للاشتراك فيه أبناء الامم المختلفة وقد اشترك فى السباق عدد لايستهان به من الطيارات والطيارين . وكان هذا العمل وحده بمثابة اكبر اعلان وأوسع دعاية عملت لبلادنا المحبوبة فى اوربا وامريكا . دعاية كانت ناجحة كل النجاح ولست أبالغ فى القول أو اغرق فيه اذ أقرر انها كانت انجح دعاية عملت لوطننا مذ تنبهنا الى فائدة الدعاية سواء من الناحية الشعبية او الناحية الحكومية . وذلك رغم مابذلته الحكومة وتبذله من اموال طائلة علي هيئات دعايتها المختلفة فى مصر والخارج . ان هيئة كنادى الطيران تنجح هذا النجاح فى امر يعد من اهم امورنا بل تفوق فى النجاح الحكومة وسلطانها وما لها وما

تبذله . آسف اذ اقرر انها لم تلق التشجيع الكافي الذى يتناسب وجهودها وكانت اعانة الحكومة التى صرفتها للنادي لمناسبة هذا المؤتمر لاتكاد تغطى المصاريف الاولية للاستعداد له ألا ترون هذا عجبا ؟

لم يقتصر نادى الطيران المصرى على السباق الدولى الذى ذكرت بل راح يعد عدته لينظم سباقا دوليا للطيران مرة اخرى فى مصر سيقام فى مارس سنة ١٩٣٦ ليضيف بذلك تضحية جديدة الى تضحياته السابقة وليسجل لمصر فخرا جديدا فوق ماسجل . ونادى الطيران المصرى لايتكلم وانما يعمل دائما وفى هدوء لمجد الوطن . الم يسافر سعادة رئيسه والاستاذ كامل بك علوى سكرتيره فى صيف هذا العام للدعوة للسباق المصرى ولتمثيل مصر فى مؤتمر دولى اندية الطيران على نفقتهما الخاصه فى غير جلبة ولا غوغاء . أو لم يذهب الدكتور ابو ظهره الى لندن حيث زار المصانع والشركات والاندية المختلفة للطيران يستحث أهلها على الاشتراك بسباق مصر وزيارة ارض الفراعنة . قارنوا هذه الاعمال وهى من نتائج الطيران ووجوده فى بلادنا بغيرها من اعمال الحكومة والهيئات المختلفة فى بلادنا . ان فى عنق كل منكم واجبا نحو وطنه وعليه أن يؤديه وها هى ناحية عظيمة ذات ذكر فى سياسة بلدنا تطلب منكم التشجيع والمناصرة فشجعوها وناصروها فأنتم مشجعو وناصرو من غير شك وطنكم . وانى كطيار وبلسان الطيارين المصريين أهيب بالزعماء . أهيب برؤساء الاحزاب والهيئات . اهيب باغنياء هذا البلد ان يتنبهوا وان يحسبوا حساب المستقبل القريب فيشجعوا الطيران مااستطاعوا الى ذلك سبيلا وان يجتهدوا فى ايجاد اكبر عدد من الطيارين المدنيين فهم له عدة وهم له عنوان مجد وفخار . وانه لكثير بل انه لمن العار الكبير على أغنياء أمة كمصر ان يتركوا هيئة واحدة تعمل وتضحي ليس للطيران ذى المحرك وحده بل للطيران الشراعى أيضا وقد أخذه نادى الطيران المصرى تحت رعايته بعد أن رأى ان هذا الفن الجديد على وشك الاندثار فى بلادنا فتسلم ناديه وهاهو يأخذ بناصره ويفتتح عهد رعايته له بشراء أربعة طائرات شراعية دفعة واحده واستحضار مدرب ليمرن المصريين على هذا النوع البديع من الطيران. اذكروا لى غنيا واحدا تبرع بشيء لانتشال النادى الشراعى من عثرته كما يتبرع لما يساوى ولما لايساوى من الامور

ان الطيران يربي النفوس و يربي الاجسام ويخلق فى الضعيف روح الشجاعة والاقدام . و يخلق الطيران فى أبنائه الوطنية الحقة والقوميه الصحيحة . يعلم رجاله النظام ويعدم فيهم الانانية

الحيوانية . يملؤ رجاله وفتياته الصدق فى القول والاخلاص فى العمل فادفعوا بابنائكم وأنفسكم وأصدقائكم إلي المطار والى المطار وحده فتخلقوا لوطنكم بذلك جنودا برره ورجالا مخلصين وأبطالا يسجلون فى صحائف التاريخ لمصر صحفا جديدة

للطيران أثر اخر ظاهر فى حالات مصر السياسية والاجتماعيـة والاقتصادية . ذلك هو أثر شركة مصر للطيران التى أسسها رجال بنك مصر العاملون وعلى رأسهم زعيمنا الاقتصادى محمد حرب باشا

لقد تأسست هذه الشركة فى بادىء الامر فى سنة ١٩٣٢ وكان نطاق عملها ضيقا محدودا اذ اقتصر اسطولها على عدد من الطائرات المدرسية وبضعة طائرات ذوات ثلاثة واربعة مقاعد للنزهات والرحلات القصيرة

وقد عهد البنك ومجلس ادارة الشركة الى الطيار الاستاذ كمال علوى امر ادارة هذه الشركة باسطولها الذى ذكرت . وكمال علوى طيار ومصرى وثاب فلم يقنع بهذه الحركة المحدودة فى شركة هي الاولى من نوعها فى الشرق أجمع فراح يعمل ويعمل . راح يعمل بنشاط الشباب وقوة المصرى . راح يعمل بثبات الطيار واخلاصه وعزيمته ومن ورائه مجلس الادارة يعضده فكتب له الفوز . وأى فوز . صارت شركة بعد سنتين اثنتين تدير الخطوط الهوائية المصرية هذه الخطوط التى ربطت طائراتها مصر بشقيقتيها فلسطين وسوريا فى خط يعمل كل يوم كما ربطت القاهرة بالاسكندرية فى خط يعمل كل يوم ثلاث رحلات ويقطع المسافة فى ساعة واحدة

وسيبدأ العمل بالخط الذى يربط الاسكندرية ببورسعيد والقاهرة فالمنيا وأسيوط يوميا ابتداء من الخامس عشر من هذا الشهر وسهلت حركة السفر للسياح بين القاهرة والاقصر واسوان فى فصل الشتاء بخطها الذي تقطع طائراته المسافه يوميا ذهابا وايابا فى بضع ساعات . فضلا عن الخطين اللذين يعملان فى فصل الصيف وفى فتره العطلة الاسبوعية بين القاهرة ومرسى مطروح وبين القاهرة وجزيرة قبرص وتقطع طائرات هذا الخط الاخير المسافة فى زهاء ثلاث ساعات ونصف . وقد قطعت طائرات هذه الشركة فى بحر سنـة ١٩٣٤ زهاء مليون ميل رحلات هوائية فى الخطوط المختلفة والرحلات الخاصة فى مصر وأنحائها وبينها وبين أوربا والحجاز وجنوب أفريقيا وغيرها كما دلت احصائيات الشركة على أن متوسط عدد الركاب الاسبوعى لطائرات خطوطها المختلفة قد بلغ المائتين من الركاب بينهم المبرنط والمطربش والمعمم وبينهم الآنسات والسيدات المصريات

الى هذا الحد الكبير نجحت شركة مصر للطيران فى هذا الوقت القصير . وهى يديرها المصرى كمال علوى ويبحث شئونها مجلس ادارة يعقد بين الفينة والفينة أعضاؤه محمد طلعت حرب ومحمد طاهر وفؤاد سلطان وحسن مظلوم المصريون

واذا ذهبتم الى مطار الماظة حيث مقر الشركة ترون كما قلت مديرها المصرى وسكرتيرها المصرى ورئيس حساباتها المصرى وماسك احصائياتها المصرى وضباطها المصريين وعمالها المصريين وبين طياريها عدد لابأس به ولله الحمد من المصريين . وان كان فى الشركة الى اليوم عنصر اجنبى فهو بحكم الاختصاص وتأخرنا القديم فى الانتباه إلى هذا الفن العظيم

ولكنى انبهكم إلى أننا لانلبث حتى نجد من يصلح لملء هذه الوظائف من المصريين بعد تعليمهم وتدريبهم التدريب الكافى الذى يضمن سير العمل وأمنه المتوافر الى الآن . ومن هنا ترون أن باب الكفاح فى الطيران مفتوح على مصراعيه وان فى ميدان العمل لمصر لمتسع للجميع

وقد نتساءل :

ان بين المصريين وخصوصا فئة الطيارين من يصلح مديرا وقائدا ومن يصلح وكيلا ومفتشا عاما ومن يصلح مفتشا اداريا ومفتشا فنيا ومن يصلح لكل وظيفة أو عمل تخلقه الحاجة أو يخلقه غيرها كما تعلمون

وحبذا لو أن حكومتنا أخذت من بنك مصر وشركاته مثلا تحتذى به فى سياستها ونورا تهتدى به فى تسيير أمورها فتثق بالمصرى وقدرته ونبوغه وتعهد اليه بكبار الامور كما عهد بنك مصر الى شباب مصر الناهض فاخلص الكل فى العمل وكان النصر المبين



الخوف من الجديد وكراهة المجددين

للأستاذ نقولا يوسف

من الألفاظ المتداولة بين كتاب الغرب لفظة « مسيونيزم » المشتقة من كلمتين اغريقيتين بمعنى « كراهة الجديد » ولعلنا أحوج منهم إلى اشاعة هذه اللفظة بيننا فهى تشير إلى تلك الظاهرة الغريزية التى تصيب نفوس الأفراد والجماعات فتحملها على مقاومة المبادىء والنظريات الجديدة مهما أثبتت الأدلة صحتها بل كثيرا ما تحملها على مناوأة الجديد قبل بحثه وتمحيصه

وفى سبيل تلك المقاومة كثيرا مايحدث الاستشهاد والاضطهاد وتشب الثورات بل الحروب ثم ينتهى الصدام بانتصار الحق ولو بعد قرون

وانتصار المبادىء الحقة والنظريات الصحيحة هو انتصار لناموس الكون الذى يعمل على تطور الأحياء والجماد والرقى بها إلى درجات أعلى . وعلى ذلك فنحن قوم غيرنا بالامس وسنكون غيرنا فى الغد . وقد ارتقينا كثيراً عن أسلافنا وحققنا أحلامهم وسيرقى أحفادنا ويحققون ما نراه اليوم أحلاما والفضل عائد فى ذلك إلى الباحثين وراء الجديد ، أولئك السائرين وفق ناموس الوجود

والحياة التى من طبيعتها الارتقاء من رأيها أيضا التغلب على الجمود غير مبالية بما يعترضها من عقبات وما يذهب من ضحايا وما يمر من أزمان . مثلها مثل النهر الذى يجرف أمامه ما يعترضه من صعاب ويتخطى ما يلاقيه من صخور وتضاريس ليصل إلى غايته

وعلى ذلك فالحقائق الجديدة تكتسح أمامها الحقائق القديمة التى تتنافى مع سنة الارتقاء . وهذا الاكتساح لا يخلو عادة من صدام أظهره ما يحدث بين أنصار الجديد وأنصار القديم أى بين التطور والجمود

ومع أن الجمود وأصحابه يعوقون الحياة فى مسيرها إلا أن العجب أن هذه الحياة فى تطورها كثيراً ما تستفيد من الجمود . بل هى تستفيد من الموت بل ليس ثمة شر يخلو من بعض الخير ولا قوة ايجابية إلا وتسندها قوة سلبية

وجمود الجماعات هو القوة السلبية الضرورية فى حفظ التوازن الذى به تسير تلك الجماعات بخطى بطيئة ثابتة تدريجية فتثبت أقدامها فى طريق الارتقاء أكثر مما لو سارت بخطوات فجائية مضطربة

وقد يعجب الانسان لأول وهلة لماذا يكره البعض المبادىء الجديدة مع ما يظهر لها غالبا من المحاسن وما يجتمع لها من براهين . بل ان طفل اليوم لا يصدق أن مبدأ عاديا مثل دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس قد سبب للقائلين به شتى الاضطهادات والتعذيب . ولكن لكراهة الجديد « سيكلوجية » لا تخلو أيضا من عجب وأسباب تلذ دراستها

وللالمام بتلك الاسباب يجب البدء بدراسة فلسفة « العادة » وتكوينها وقوتها فى علم النفس. ومما يقوله الاستاذ بتس فى كتاب « العقل وتربيته » . ان الانسان ماهو إلا مجموعة أو هو حزمة متحركة من العادات التى كونها جهازه العصبي . وكل عادة حفرت لها مجرى شبيه بمجرى النهر من الصعب أن تحيد عنه ، وقد قيل إن العادة رباط يصعب قطعه، وما حياة كل منا إلا دورة يومية من النشاط تسيرها عاداتنا فى هذا الطريق أو فى ذاك . فنحن ننام ونأكل ونتكلم ونمشى على النمط الذي اعتدناه فى تأدية هذه الحركات والاعمال . بل نحن نفكر بالطريقة التى كونتها عادة التفكير فينا . بل نتلو صلواتنا ونمارس حركات عبادتنا عن طريق العادة . ونحن فى كلامنا خاضعون لنمط أتوماتيكى . . ونحن فى اتباعنا مجري العادة نحس بالسهولة والسرور ونوفر المجهود والزمن ، ولكننا إذا عرجنا عن هذا المجرى وبدأنا طريقا جديدا شعرنا بالصعوبة والانزعاج وعلى ذلك فأغلب الناس يفضلون متابعة ما درجوا عليه طويلا والاستمرار فيما ألفوه من القراءة والتفكير والاعتقاد لا لأنهم يشعرون أن طريقتهم هى الأحسن ولكن لان اتباعها أسهل لهم من تبديلها وبذلك تستقر جموعنا على سهل منبسط من التوسط والاعتدال وتتعلم كيف تعمل أشياء متوسطة فى جودتها ولا تفكر فى تحسين أساليب عملها

ويقول وليم جيمس فى هذا المعنى : ان فضائلنا ورذائلنا مجموعة من العادات . ويعتقد أننا خاضعين لقانون العادة مادامت لنا أجسام . وما دامت حياتنا مجموعة عادات فنحن مقلدون وناقلون عمن سبقنا

فاستنامة الناس إلى ما ألفوه من العادات ونفورهم الفطري مما يتطلب جهدا وكسلهم الذهنى كلها تفسر لنا سبب كراهتنا للبدع الجديدة التى تصدمنا بشذوذها عن مجرى العادة ومقاومتنا لكل جديد ولكل مجدد مهما شفع بدعته بالبراهين المعقولة

والشيوخ حتى العلماء منهم أكثر جمودا وتعلقا بالقديم وكراهة للبدع الجديدة من الشباب لان طغيان العادة يكون بمر السنين أقوى فعلا فى نفوسهم ولان العقل الواعى كالجسم يفقد مرونته وتقل قابليته للتكيف بتقدم العمر وتوالى السنين فيمسى الشيخ أكثر عنادا وتعصبا لآرائه وتمسكا بعاداته . وبذلك قلما تثمر البدع أو الآراء الجديدة فى صخور الشيخوخة وهذا مايدفع المجددين

الى الغرس فى حقول الشباب . وعلى أكتاف الشباب تقوم دائما دعائم النهضات والانقلابات وتذيع المعارف والاديان الآراء الجديدة

واذا كان الانسان مطبوعا على النفور مما ينهك فكره والاطمئنان إلى ما ألفه من الآراء وما استقر فى ذهنه من النظريات فان الجهل يزيد نفوره وتعصبه ويدفعه إلى محاربة كل جديد . وهذا يفسر تعصب العقليات الأمية لاديانها ومذاهبها وآرائها ويدفعها الى اضطهاد الانبياء والمصلحين والمجددين إذ أن الجهل يضع على العيون غشاوة ويزيد الآراء تعصبا وعنادا وقد قيل من جهل شيئا عاداه . وهذا الجهل هو الذى يضع حول القديم المألوف هالة من القداسة فيرى الجاهل فى المجهودات الجديدة كفرا وفى المخترعات بدعا وفى الآراء الجديدة تخريفا . وهذا الجهل هو الذي أثار الكثيرين من الأفغان على مليكهم أمان الله خان حينما فاجأهم بادخال الأساليب الأوربية فى بلاده . . وهو ما سبب المقاومة التى لقيها مصطفى كمال فى دعوته إلى استبدال الطربوش بالقبعة حتى ألفها الناس فلم تكن بدعة . . وهذا الجهل هو مادفع الصينين فى عديد الأجيال إلى الاعتقاد بنجاسه المخترعات الغربية واحتقار كل ماهو أجنبي حتى الطيارات ولعلهم يندمون اليوم على ذلك الاحتقار بعد اعتداء اليابان على بلادهم فأخذوا اليوم يشترون مئات الطيارات ويصطنعون الحضارة الاوربية بحماسة عظيمة

وقد تصطدم المصلحة المالية مع تبديل العادات المألوفة فتزيد أرباب تلك المصلحة تشبثا بذلك المألوف كما يشاهد فى مناوأة الرأسماليين لنظريات الاشتراكية وما شابهها من النظريات الاقتصادية أو فى محاربة أرباب المصانع لاختراع جديد فيه بوار تجارتهم

كان الرق مباحا فى معظم الولايات المتحدة الامريكية لا سيما الجنوبية الزراعية منها حيث كانت الحاجة ماسة إلى الارقاء الذين يفلحون الأرض فظهرت فكرة انسانية جديدة فى القرن التاسع عشر تدعو إلى الغاء الرق . وتزعم هذا المبدأ أهل الجهات الشمالية الصناعية حيث كانت الحاجة إلى الرقيق تكاد تكون معدومة . فثارت المناقشات العنيفة وانقسمت تلك البلاد إلى حزبين عظيمين أحدهما يبيح الاسترقاق والآخر يعاديه . وتشعبت من مسألة الرقيق خلافات أخرى أدت عام ١٨٦١ إلى حرب أهلية بين أهلي الشمال والجنوب استغرقت أربع سنين وتكبدت فيها البلاد من القتلى والجرحى نحو مليون من الرجال وانتهت بفوز المبدأ الانسانى والغاء الرق وانهزام أرباب المصلحة المالية

هذه المصلحة المالية كثيرا ماترتدي مسوح الدين فترمى الداعين الى مبدأ من المبادىء بتهمة الالحاد أو الكفر أو الاباحية أو ما شابهها من الالفاظ التى يظهر أثرها السريع فى نفوس العامة وصغار الاحلام . وكثيرا ماتتنكر بأسماء أخرى طنانة كالشيوعية أو الفوضوية أو الرجعية وما شا كلها فيكون لها الأثر البين فى العقليات الامية السريعة الانخداع

وقد يحول الخوف بين الذهن وتحريره من الأوهام فيزيد التعصب لا سيما الدينى فالعامة الذين كانوا يخشون بطش الآلهة أو غضب المعبودات أو لعنة الأولياء هم الذين قاوموا بوذا فى الهند وصلبوا المسيح فى فلسطين واضطهدوا محمد فى مكة وشنقوا بهاء الله فى فارس وقتلوا الحلاج والسهروردى لصوفيتهما . . وهم الذين يقومون اليوم فى وجه غاندى حينما يدعوهم إلى تحرير المنبوذين الأنجاس !

ومن شاء أمثلة أخرى فليرجع إلى كتابين بديعين بالعربية فى هذا الموضوع أحدهما « حرية الفكر » للأستاذ سلامة موسى والآخر « بين الدين والعلم » الذى ترجمه الأستاذ اسماعيل مظهر عن ديكسون وايت . .

لنا أن نعجب اليوم كيف استعرت الحروب الصليبية وتوالت نحو مائتى سنة قتل فيها الألوف من بنى الانسان وخرب فيها كثير من البلدان بسبب اختلاف بسيط بين دينين من أديان البشر بل لنا أن ندهش لتلك الحروب والمذابح التى لوثت وجه أوربا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر بين الكاثوليك والبروتستانت وهما مذهبان من مذاهب المسيحية ونعجب لتلك الفظائع التى كانت ترتكبها محاكم التفتيش والتى ارتكبها الغوغاء فى باريس فى عيد برتولميو يوم ذبحوا من البروتستانت أكثر من عشرين الفاً

يحدث هذا منذ فجر الخليقة وحين بدأ الانسان فى عصوره الهمجية يخشى سخط القوى المستترة وحدث هذا حينما ظهر اختاتون يجدد فى الدين والفن يوم كان المصريون القدماء يخضعون للكهنة الذين اتخذوا من الدين وسيلة إلى امتلاك الاراضى الواسعة والالقاب السامية وبسط النفوذ على الشعب والحكومة وبلاط الملك

ظهر بمصر حوالى سنة ١٣٧٥ ق . م ابان مجد الرب آمون وسلطان كهنة طيبة شاب مجدد هو الفرعون اختاتون الذى هداه تفكيره إلى مبادىء جديدة بالنسبة لعصره مما دعا الكثيرين اليوم الى اعتباره أول الانبياء . فقد ثار على التقاليد الدينية التى لم يكن أحد حتى الملوك أمثاله ليجرؤ على الثورة عليها لما للكهنة من سطوة وللشعب من خوف الجديد ولكنه ثابر حتى موته على الدعوة إلى هدم الاوثان ونبذ الآلهة وأنصاف الآلهة والشعوذة والغموض ، والعودة إلى عبادة إله واحد هو الروح الخالق الغير المنظور الذى يرمز إلى قوته بالشمس مصدر الحياة وأخذ الشاب يبشر بمبادىء الحب والسلام ونبذ التوسع الاستعمارى والحروب والرجوع الى الصراحة والبساطة فى الدين والفن والحياة وشيد له عاصمة جديدة بتل العمارنة لتكون مركزاً لدينه الجديد . إلا أن هذه المبادىء السامية ماتت بموته لانه تقدم عصره ولم يكن الشعب رغم حبه لمليكه مستعداً لقبول

هذه الدعوة الجديدة لما للخوف من الآلهة وكهنتها من سلطان على النفوس .

فى القرن الخامس ق . م ظهر حكيم اغريقى اسمه اناجزاغوراس وكان يبحث فى المادة الأولى التى يتكون منها الكون ويعلم تلاميذه أن الشمس قطعة من النار وأن فى القمر جبال فرماه رجال الدين بالكفر وحبسوه ثم نفوه . .

وقام بعده ببضع سنين حكيم آخر هو بروتاجوراس فكفر بالآلهة ورأى أن نوجه اهتمامنا إلى تحسين العالم ودراسة الانسان بدلا من أن ننفق العمر القصير فى البحث عن وجود الآلهة العديدة فقبضوا عليه وحاكموه . .

وجاء سقراط فدعا إلى توحيد الآلهة فى إله واحد غير منظور والى حرية الفكر وخلود النفس فعقدوا له مجلسا مؤلفاً من خمسمائة قاض لمحاكمته على كفره وعلى افساد عقول الشباب بتعاليمه فدافع فى تلك المحاكمة المشهورة عن حرية التفكير ورد عن نفسه تهمة الكفر فرأى المجلس أن يعفو عنه بشرط أن يكف عن تعاليمه فلم يقبل مخالفة ضميره فحكم عليه القضاة بتجرع السم

وحدث مثل هذا مع المسيح حينما ظهر بمبادىء جديدة أثارت عليه عليه شيوخ اليهود وعوامهم وقصة اضطهاده ومحاكمته مشهورة ولم يسلم تلاميذه وأتباعه من اضطهادات اليهود والرومان لهم من أجل تلك المبادىء ، تلك الاضطهادات الدموية التى تضيق عن ذكرها ألوف الصفحات

ومما يثير العجب فى أمر هذا « المسيو نيزم » هو اضطهاد الكثيرين من العلماء ومقاومتهم بل قتلهم أو احراقهم من أجل آراء علمية نقر اليوم بصحتها ونراها من البداهة والبساطة بحيث لم يكن ثمة داع لتلك الاضطهادات حتى من جانب رجال الدين الذين كان يدفعهم خوفهم على مراكزهم ومصالحهم الى الأخذ بحرفية ماجاء فى العهد القديم من التوراة حتى الرمزى والشعرى منه

كان القائل بكروية الأرض أو بدورانها يلاقى عنتا وعداء شديدا وكذلك ظهر للقائلين بنظرية « الانتيبود » أى بوجود أناس فى الجهة المقابلة من الارض معارضون وفلاسفة يدحضونها ، ولما أراد خرستوف كولمبوس أن يعبر المحيط الى الهند جادله علماء اسبانيا وأنكروا وجود أرض وراء المحيط ولم يقتنع العلماء بكروية الارض حتى ساح ماجلان عام ١٥١٩ وأثبت لهم كروية الارض ووجود أناس فى الجهة المقابلة من الارض . .

وفى عام ١٥٠٠ قام كوبرنيكوس يقول أن الشمس لاتدور حول الارض كما كان الناس يعتقدون بل أن الارض وبقية السيارات هى التى تدور حول الشمس وألف كتابه « حركات الاجرام السماوية » لكنه لم يجرؤ على نشر كتابه وأخذ يبحث عن مدينة يأمن فيها سخط رجال الدين ثم طبع الكتاب ومات قبل أن تصل اليه أيدى الاضطهاد ورغم ذلك فقد لقبوه بالمأفون وبالكافر ومنعوا تداول الكتاب ولم يجرؤ أحد أن يعلن اعتقاده بذلك الرأى مدة سبعين سنة حتى جاء جاليليو

عام ١٦١٦ فأخذ يثبت بالرصد صحة تلك النظرية فعادوا الى مصادرة كتاب كوبرنيكوس وأخذت المسارح تسخر بالرجل وآرائه . .

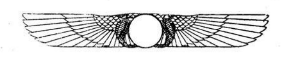
ولما كشف منظار جاليليو عن أقمار المشترى قالوا بأن النظر فى التلسكوب كفر وخيالات شيطانية ولما أثبت وجود البقع الشمسية وأن الشمس تدور حول محورها وأن القمر جبال ووديان هب أساتذة الجامعات يعادونه ويكفرونه وقبضت محكمة التفتيش على جاليليو وسجنته ثم أجبرته على الاعتراف بان الأرض لا تدور ومات الرجل محتقراً ذليلا . !

وجاء كيلر بنظرياته الفلكية فوبخ وسجن متهما بالخيالات الفاسدة وفى عام ١٨٢٠ أصدر مجمع وزراء الفاتيكان المقدس أن نظرية كوبر نيكوس حق ثابت فانتصر الحق بعد ثمانمائة سنة من المقاومة والعداء . !

أما داروين فقد لقى من السخرية والعداء شيئا كثيراً ولم يكن أعداؤه من الجهلة أو رجال الدين فقط بل كانوا أيضاً من العلماء والمؤلفين ورجال الصحف فى كل قارات الارض وظهر عدد كبير من الكتب ونشرت مئات المقالات والقيت الوف المواعظ فى تسفيه داروين وآرائه

ولما نادى بآراء داروين بعصر منذ عهد قريب العالم شبلى شميل قامت فى وجهه عاصفة شبيهة بتلك التى قامت فى وجه قاسم أمين حين نادى بتحرير المرأة ثم هدأت العاصفة واستقرت نظرية النشوء والارتقاء ونسيت تلك الألوف من الصفحات التى رمتها بالكفر والجنون وأوسعتها شتما وتحقيراً . .

أن أعداد الجديد ما زالوا عائشين وسيظلون دائماً بالمرصاد لكل مجدد حتى يأتى ذلك اليوم ولا ندرى متى يكون حين تسيطر دولة العلم وتخف وطأة الغرائز وتصبح الارض طوبى لا مكان فيها للتعصب والحماقة . .



مع لورانس فى الصحراء

كتاب انجليزى للمؤلف لويل توماس

تلخيص وتعليق ديمترى ينى

مؤلف هذا الكتاب المستر لويل توماس كاتب ومحرر أمريكى . دفعته صناعته الى التجوال فى فلسطين . فلما أن توطدت صداقته مع لورانس جاب معه الصحراء واستطاع فى النهاية وبمعونة الكثيرين من أصدقائه ومعارفه من الامريكيين والانجليز أن يكتب هذا الكتاب

وملخص هذا الكتاب يشعر بالعجز التام حين يريد تلخيص الاجزاء الحربية فيه . فلم اكن والحمد الله يوما عسكريا ولم أعرف بعد هول الحرب وفظائعه . لذلك فانا انصح بقراءة هذا الكتاب لمن يريد أن يعرف شيئا عن أساليب الحرب والخطط الحربية

يقول المؤلف :« ذات يوم بعد أن غزا اللنبي مدينة أورشليم وبينما كنت أسير فى الشارع المسيحي اذا برجل تركى ضخم الجسم يعترضنى لاشترى منه قبضة من البلح نظير عشرين قرشا . وعلى غرة اتجه نظرى الى جماعة من العرب يتجهون ناحيه بوابة « وامكس » . وفى الحال أثار دهشتى رجل بدوى يختلف تماما عن سائر زملائه . يرتدى عقالا مزركشا . وكوفية حريرية وعباءة شأن أصحاب الصولة فى الشرق الادنى . وفى حزامه سيف اميرمكة الصغير المجوف شأن سلالة النبى

« ويجمع هذا الشارع المسيحى مختلف صور الحياة . فيهود الروس ، يحملون فوق رءوسهم فصائل الشعر المجعد . وقسوس الروم يلبسون القبعات العالية السوداء . الاتراك فى سراويلهم الفضفاضة وتجار العرب فى عمائمهم وقفاطينهم الزاهية

مر بي هذا الشاب البدوى بملابسه الملكية الفخمة التى كادت ان تجعل منه خليفة من الخلفاء المتنكرين . فزادت الرغبة فى نفسى الى معرفته فقصدت على الفور الجنرال ستورس حاكم القدس . والذى كان سكرتيرا شرقيا للمندوب السامي فى مصر قبل سقوط اورشليم . يتكلم العبرية واليونانية واللاتينية والعربية بسهولة كما يتكلم لغته الانكليزية تماما

« وفى غرفة مجاورة لغرفة الحاكم رأيت ذلك الامير البدوي يجلس على المكتب الذى كان

يجلس عليه « فون فالكنهاين » القائد الالمانى وكان يقلب مجلدا ضخما من مجلدات الآثار والعاديات . ومنذ تلك اللحظة بدأت معرفتى وصداقتى للكابتن لورانس

« ولد لورانس فى مقاطعة كارنارفون فى ويلز وكان أهله يتبعون الكنيسة الانجليزية . قضى خمس سنوات من طفولته فى جزيرة « Jersy » . فلما أن بلغ العاشرة هاجرت أسرته الى شمال اسكوتلانده حيث ظلوا هناك ثلاث سنوات سافروا بعدها الي فرنسا والتحق بكلية الجزويت ومنها عاد الى اكسفورد



لورانس

« ولورانس من أسرة عريقة جدا . نشأ محبا للمخاطرات والمجازفات . مولعا بتسلق الاشجار والزحف على سطوح المنازل . استطاع أن يتمم دراسته فى جامعة اكسفورد فى ثلاث سنوات بدلا من أربع رغم أنه لم يحضر محاضرة واحدة . كان يصرف أكثر وقته اما ماشيا على قدميه مجولا فى أنحاء انجلترا . أو باحثا منقبا عن تاريخ القرون الوسطى . كان يحب العزلة ولهذا السبب كان ينام نهارا ويقرأ ليلا . وكان مولعا بالكتب التى تبحث فى الشئون العسكرية والحربية

« ولما أن أتم دراسته اختار فن العمارة العسكرية فى عهد الحروب الصليبية موضوع رسالته . ولهذا السبب قرر أن يزور الشرق الادنى ليدرس بنفسه موضوع رسالته وشجعه على ذلك الدكتور « دافيد هوجارس » . سافر الى سوريا رغم معارضة والدته الشديدة بعد أن منحته مائتى جنيه نفقات رحلته . وكانت أسرته تتوقع عودته بعد اسابيع قليلة .

غير أن لورانس لم يكد يصل سوريا حتى ارتدى الملابس الوطنية وبدأ يجول عارى القدمين فى صحراء العرب يدرس بنفسه أخلاق وعادات الناس . فلما أن عاد الى اكسفورد بعد سنتين يقدم رسالته كان لايزال يحتفظ فى جيبه بمائة جنيه

«ورأس صديقه « دافيد هوجارس» قبل الحرب بكثير بعثته الأثرية وصحبه لورانس ونجحت البعثة فى ابحاثها واستطاع لورانس وزملاؤه ان يكشفوا عن جزء كبير من تاريخ المدينة حتى مبدأ الثقافة اليونانية فى جزائر البحر الابيض والتى ترجع لخمسة آلاف سنة مضت

« وأراد لورانس فى أثناء الحرب أن يلتحق بفرقة اللورد كتشنر غير أن اللجنة الطبية رفضت طلبه لاعتلال صحته . وشاء القدر أن يدخل هذا الرجل العليل بعد أربع سنوات من تاريخ الكشف عليه مدينة دمشق على رأس جيشه العربي

« وفى سنة ١٩١٥ ثار عرب الحجاز ضد الحكم التركى فى الجزء الواقع بين مكة والجزء الجنوبى للبحر الميت والمعروفة بالاراضى المقدسة . وجزيرة العرب اكبر مساحة من انجلترا وفرنسا وويلز واسكوتلاندا وايرلندا وهولندا وبلجيكا واسبانيا مجتمعة فالمسافة بين حلب في الجزء الشمالى ومدينة مكة تساوى المسافة بين لندن وروما ومع ذلك فقد قطعها لورانس ورجاله على ظهور الابل

« وفى الحجاز شيعة تحسب نفسها من سلالة النبى . تكره الاتراك وتعدهم دخلاء فى بلادهم . وكانت حكومة تركيا تخشى على الدوام بأسها فاذا أرادت الانتقام من أحدهم دعته ليعيش فى الاستانة فيقضى البقية الباقية من حياته شبه سجين . وكان السلطان عبدالحميد ماهرا فى اقتفاء هذه السياسة واستطاع فعلا ان يحتفظ بالشريف حسين وان يقدم له معاشا وقصرا على ضفاف البوسفور حيث قضى فيه اكثر من ثمانية عشر عاما . فلما ان ثارت تركيا سنة ١٩١٢ وانتهى حكم عبد الحميد واطلق سراح المسجونين السياسيين تفاءل الشريف حسين خيرا ولكن خاب ظنه كما خاب ظن كثير من العرب فقد الزمهم حزب الاتحاد والترقى ان يتجنسوا بالجنسية التركية وأن يتركوا لغتهم العربية . وسرعان ما تحقق الشريف حسين أن أنور وطلعت وجمال أكثر ظلما وغطرسة من السلطان عبد الحميد

« عاد الشريف وأولاده إلى مكة مفضلا أن يبعدهم عن جو تركيا وحياة الشرف فيها مفضلا أن يجوبوا الصحراء ويتذوقوا حياتها

« ولما أن نشبت الحرب الكبرى وانضمت تركيا لألمانيا رأي العرب أن الساعة قد دنت ولكن لافتقارهم إلي الذخيرة والمؤن ظلوا ساكنين حتى جاءت الاخبار بحصار كوت العمارة فأرسل

الشريف حسين للحكومة الانجليزية يسألها المعونة . واستطاع قبل أن يصل رد الحكومة الانجليزية اليه أن يجمع حوله آلاف العرب وأعد الشريف مع أولاده خطته الحربية . فلما أن كانت سنة ١٩١٦ وكان لورانس فى ذلك الوقت يشتغل فى قلم المباحث السرية فى مصر تحت اشراف السر جلبرت كلايتون دعا الشريف رجاله والقبائل . وفى ٩ يونية بدأت العاصفة . حمل الشريف حملته إلى مكة وسافر فيصل وعلى إلى المدينة واستطاع الشريف أن يغزو جدة بعد خمسة أيام بمساعدة الكابتن بويل . واستمر الكفاح شديدا بين فيصل وعلى وتركيا مما اضطر له الشريف حسين أن يطلب مرة أخرى مساعدة انجلترا والحلفاء .. ومنذ تلك اللحظة بدأ لورانس يلعب دوره على مسرح السياسة

وفى ذلك الوقت طلب الى الجنرال ستورس أن يسافر إلي جده يحمل رسالة الى أمير الحجاز وكان لورانس يعتقد بامكان مساعدة العرب وصحب ستورس الى البحر الاحمر فلما وصلا الي جده استأذن لورانس الشريف حسين بزيارة الامير فيصل فى معسكره . فلما بلغها كان المركز حرجا فقد أمد الاتراك جيشهم بفرق ومعدات حربية ولم يكن لورانس قد وضع خطته بعد غير أن الفكرة كانت مختمرة فى رأسه . وبدأ عمله بأن أوجد الثقة فى نفس الامير فيصل . فلما أن اطمأن الى هذه الناحية وجد الفرصة سانحة لضرب الاتراك والالمان

« وأدرك لورانس أن القوات التركية سوف تجر جيوشها حتى تضع يدها على رابغ أعظم ميناء على البحر يبعد عن جدة شمالا بألف ميل . وأدرك لورنس أيضا أنه توجد فى الشمال ميناءان صغيرتان « ينبع وجه Wejhi » وكأنتا فى يد الاتراك . كانت خطته أن يغزو هاتين المدينتين ثم يترك بعد ذلك الجيش التركى حائراً اما أن يعود الى المدينة أو أن يقذف بنفسه وسط الصحراء . وأيقن لورانس أن الاتراك يحتاجون لأكثر من نصف مليون جندى حتى يمكنهم أن يتسيطروا على خمسين الف ميل مربع ولم يكن لديهم أكثر من مائة الف عسكرى . وأخيرا انتهى لورانس على أنه لو استطاع أن يجمع شمل سكان الصحراء والقبائل ويوفق بين العرب والبدو ويجعل منهم كتلة واحدة لما طرد الاتراك من الاراضى المقدسة فقط بل غزا سوريا أيضا

« وبدأت محاولاته فى اقناع العرب بأن يستميتوا فى الدفاع عن بلادهم من ظلم الاتراك وحكمهم وكان يستر شخصيته تحت اسم « سيدى فيصل » بمجالس العرب ويتحدث اليهم عن تاريخهم الغابر ثم يتطرق به الحديث الى الحكم التركى ووجوب ترك الاتراك من بلادهم . واستطاع خلال ستة أشهر أن يجمع حوله مختلف قبائل الحجاز وبلاد العرب . وظل لورانس والاميران فيصل

وعبد الله يكافحون حتى استولوا على ينبع والرج . وكان للاتراك فى شمال خليج العقبة فصيلة لا تقل أهميتها عن فصيلتى مكة وجدة . ولما كانت العقبة من أهم الموانى الحربية لمن يريد أن يغزو مصر وفلسطين وسوريا ، لذلك بانت موضع اهتمام لورانس وتفكيره . وفى ١٨ يونية سنة ١٩١٧ استطاع أن يعسكر على بعد ثلثمائة ميل من شمال خليج العقبة . ويذكر الكاتب بعد ذلك مهارة لورانس الفائقة ودهائه ومكره وحذره فى وضع خططه الحربية لمعرفته التامة ببلاد العرب وطبوغرافيتها .

ويذكر الكاتب أيضا أن العرب عقب انتصارهم المذكور رغبوا فى أن يذبحوا ويقتلوا الاسرى الاتراك اطفاء لنيران قلوبهم المتأججة من ظلم الاتراك لهم واستعبادهم . غير أن لورنس بثاقب فكره استطاع أن يكبح جماح غضبهم وسخطهم . فلما أن هدأ روعهم وسرى الخبر بين الاتراك بحسن معاملة الاسرى منهم انضم جزء كبير الى الجيش العربي بأسلحتهم ومعداتهم وهذا بالطبع ما كان يرمي اليه لورانس من حسن معاملته للاسرى

« وفى ٦ يونية سنة ٩١٧ استولى لورانس ورجاله على العقبة بعد أن أضناه التعب والكفاح وظل الجيش بعدها عشرة أيام يعيش على البلح ولحم الابل وخاف لورنس المجاعة فركب جمله يجوب الصحارى والقفار اثنتين وعشرين ساعة عاد بعدها الى بور توفيق فالسويس منهوكا خائر القوى

« وكان اللورد اللنبى فى ذلك الوقت قد عين حاكما عاما للقوات البريطانيـة فى مصر خلفا للسرمرى . وفى الاسماعيلية استطاع لورانس أن يتحـدث الى الاميرال « ولمس » ويقص عليه خبر غزو العقبة وحاجة الجيش الشديد للمؤونة . وفى الحال كاشف « وليمس » اللورد اللنبى فلما مثل لورانس بين يديه قص عليه كل شىء دون أن ينسب لنفسه فخر هذا الانتصار

« بدأ اللورد اللنبى فى الحال يحصن سينا من ناحية العقبة خشية أن يعيد الاتراك عليهم حملتهم مرة أخرى

« ولما اكتشف الالمان والاتراك سر نجاح العرب أعلنا منح خمسة آلاف جنيه جائزة لمن يقبض على لورانس حيا أم ميتا . ولكن العرب لم ينسوا جميله لهم وعنايته بهم فأحاطوه برعايتهم وحمايتهم »

* * *

يذكر الكاتب بعد ذلك الجهود العظيمة التى بذلها شيوخ القبائل ورجالها مناصرين لورانس ومساعدين له . ويذكر أيضا أحاديث العرب المتداولة عن كرم وفادتهم للناس . ويذكر الكثير مما ورد فى أساطيرهم عن ذلك . ولعل هذا مادفع لورانس أن يكون كريما مثلهم وان يتحدث اليهم

باللغة التي يتحدثون بها فيضرب لهم المثل الاعلى فى الكرم والجود . ولكنه كرم وسخاء يكلفان الحكومة البريطانية آلاف الجنيهات الانكليزية . فقد كان شيوخ القبائل يقصدون لورانس فى خيمته ويسألونه مالا فيشير اليهم الي كيس كبير مملوء بالذهب الوهاج . وكان يسمح لكل منهم ان يأخذ ما يملأ يديه حتى ان اعرابيا اخذ مرة فى حفنة واحدة مائة وثلاثة واربعين جنيها

ثم يذكر الكاتب بعد ذلك كيف لعب لورانس دوره فى الاشتراك مع اللورد اللنبى فى حملته وكيف استطاعا ان يضعا خطة حربية انتهت بأن تقدم لورانس وجيشه اكثر من ثلثمائة ميل فى أقل من شهر . وبذلك أفل نجم الأمبراطورية التركية وبدأت تتفكك

كان لورانس فى ذلك الوقت قد بلغ التاسعة والعشرين من عمره وقد استطاع فى مدة وجيزة أن يكون أعظم رجل فى بلاد العرب منذ هارون الرشيد

واحتلت فى النهاية القوات البريطانية والعربية بعد سقوط مدينة دمشق وميناء بيروت

يقول الكاتب وبعد أيام قليلة من احتلال بيروت نشأت مسأله دبلوماتية وذلك بان ممثل فرنسا وضابطا انكليزيا طلبا انزال العلم العربي وان يوضع مكانه العلم الفرنسى : يقول الكاتب أن الحاكم العربي وضع مسدسه على الطاولة التى أمامه وقال له « هاك مسدسي يمكنك قتلي ان أردت ولكنى لن نزال العلم »

وبعد ثلاثة أيام أبرق اللورد اللنبى بالا يرفع علم ما فوق بيروت وأن يحكم المدينة ضابط فرنسى بالنيابة عن الحلفاء .ومنذ تلك اللحظة بدأ العرب يدافعون عن كل بقعة كسبوها يساعدهم على ذلك لورانس الشاب .

وأخيرا وبعد أن سقطت دمشق وأقام لورنس حكومة وقتية لصديقه فيصل رأى أن عمله لم ينته بعد وخاف أن ينسى الحلفاء وعودهم للعرب وسافر توا الى أوروبا يمهد السبيل للوفد العربي

وفى فرنسا قوبل الوفد بفتور لان فرنسا خافت أن يطمع العرب فى سوريا . ولكن فيصل استطاع بشخصيته المحبوبة أن يجد له مناصرين كثيرين غير أن انجلترا كانت قد عقدت محالفة مع فرنسا فى الوقت الذى أعطت فيه وعودها للعرب

وكان غرض فيصل كله أن يجعل من سوريا و فلسطين وبلاد العرب مملكة مستقلة فى الوقت الذي كانت تعتقد فيه فرنسا أنها تمتلك سوريا منذ الحروب الصليبية كما أنها مدت سككها الحديدية بالمال وحملت الكثير فى سبيل ترقيتها ونجاحها كما أنها كانت تعد نفسها منقذة

للمسيحيين في سوريا

وانتهى مؤتمر السلام بفوز الامير فيصل والكولونيل لورانس فوزا جزئيا فاعطيت بيروت وسواحل سوريا لفرنسا وأعطيت فلسطين لانجلترا ومنح للعرب سلطة على داخلية سوريا . فلما عاد فيصل الى سوريا أقام نفسه ملكا عليها واتخذ دمشق عاصمة لملكه . ولكنه لم يدم فيها طويلا اذ أنه كان يفتقر لتوطيد حكومته الى مال وفير . وأخيرا اضطر أن يترك دمشق وسيطرت فرنسا على سوريا كلها

كان لورانس رجلا بعيدا عن الانانية لم يطمع يوما في مال أو جاه فقد رفض كثيرا من الاوسمة والنياشين . ولقد سئل مرة نوري باشا أحد أعوان فيصل حين كان في باريس عن المكافأة التي ينوي العرب تقديمها للورانس اعترافا بخدماته لهم فاجاب لقد عرضنا عليه كل شيء ورفض كل شيء لقد كنا نود أن نمنحه امتيازا بالبحث والتنقيب عن الآثار في جميع بلاد العرب وسوريا

وأخير استقر لورانس في انجلترا متنكرا متخفيا . فلما تعين المستر تشرشل وزيرا للمستعمرات رأى الاستعانة به ليقوي مركز انجلترا في الشرق الادنى ولكي يمدها بالمعلومات الوافية الصحيحة عن بلاد العرب . وقد شغل لورانس وظيفته لمدة سنة واحدة استطاع خلالها أن يقيم فيصل ملكا على العراق

قد يسأل سائل كما سئل مؤلف هذا الكتاب مرارا الاسئلة الآتية :

ماسر نجاح لورنس : وكيف يستطيع مسيحي أوربي أن يحوز ثقة العرب المسلمين في بلادهم المسلمة البحتة . وأي ثمرة لعمله كان يتوقعها : وهل ينوي أن يكتب كتابا عن عمله . وكيف يكسب عيشه وما مصيره وما هي مهواته وهل ياترى سيتزوج يوما ...

ولكي أجيب على هذه الاسئلة بايجاز أقول انه بلا شك توجد عوامل كثيرة تعزى لنجاح لورانس وسيطرته على العرب وولوعهم به . فقد كان أ كثر من حكامهم حكمة . يأ كل كما يأ كلون ويلبس لباسهم . كانو يجلونه لشجاعته وقوته أحبه العرب لانه قادهم الى النصر . أما كونه مسيحيا في أرض اسلامية محرمة على المسيحيين فقد كان العرب يعتقدون أنه جاء لينقذهم من نير الاتراك وحكمهم . أما زواجه فقد كانت أمه تقول انه لن يتزوج لان المرأة التي تعرف كيف تعيش معه لم تخلق بعد . أما الكتاب الذي وضعه فهو «أعمدة الحكمة السبعة»

كان لورانس يتكلم الفرنسية . والايطالية . والاسبانية والالمانية ولغة النروج والهندستان

وهو يتقن اللاتينية واليونانية ويتحدث الى العرب بلهجة بدوية بدبعة

وأخيراً استطيع أن أذكر على سبيل الفكاهة بعض ماورد فى الكتاب وأظن أن المؤلف قد غالي فى بعضها أو أنها نقلت اليه عن سوء نية

« ١ » حين نزلت حاشية فيصل فى فندق رتز بلندن أخذتهم الدهشة حين أراهم لورانس حنفية تصب ماء ساخنا وأخرى تصب ماء باردا فقد عرفوا من قبل ان بالجنة ينابيع تصب لبنا وعسلا ولكنهم لم يسمعوا بمثل هذه الحنفيات . وهذا مادفعهم أن يقترحوا على لورانس أن يشحنوا معهم كمية من هذه الحنفيات السحرية يحملونها معهم فى الصحراء وفوق ظهور الابل لتكفيهم مايحتاجون اليه من ماء بارد وساخن

« ٢ » كان الامير فيصل مدعوا فى حفلة فى مدينة جلاسجو . ولما جاء دور الكلام وكان لورانس يجلس بجانبه يترجم له كل شيء همس فى أذنه أن ليس عنده مايقوله . لذلك اقترح على الامير ان يتلو من سورة البقرة وأن يترك للورانس مايريد أن يتحدث به الى المدعوين بترجمة لهذه السورة

« ٣ » دعى الامير أيضا لحفلة فى لندن رأسها اللورد بلفور . وأراد اللورد أن يعرف رأى فيصل فى حكومة انجلترا فقال له الامير انها تذكرني بقافلة فى الصحراء . قافلة اذا رأيتها من الخلف وعلى مسافة بعيدة رأيتها أنها جمل واحد فاذا تقدمت الى الامام قليلا رأيت جملا ربط ذيله بالآخر وهذا الاخر مربوط ذيله بغيره وهلم جرا . فاذا وصلت الى رأس القافلة ايقنت أن حمارا صغيرا يقود تلك السلسلة من الابل

وعجب اللورد جدا لاجابة الامير ولم يستطع أن يدرك الى من يشير الامير

ولعلنا نعجب لرد الامير البليغ فقد استطاع ان يوحي الى اللورد برأيه فى الحكومة الانجليزية بطريقة فلسفية دون أن ينسى الصحراء مهبط وحى العربى وبلاغته

الطفولة والتعليم

بقلم الدكتورة منتيسوري

ان الفرق الجوهرى بين الطفل والبالغ هو أن الطفل فى حالتى انتقال وتحول شديدتين ، والبالغ فى حالة نضوج . وهذا الفرق عميق جـدا حتى أن الوالدين أنفسهم يجهلونه ، ومن واجب المربى ادراكه توصلا الى التوفيق بين الطفولة والرجولة وتجنبا لسوء العواقب والمشاكل التى تنجم عن عدم ادراك هذا الفرق على حقيقته . واذا رجعنا الى طرق التعليم القديمة ، وجدنا أن المعلم كان ينظر الي الطفل باعتبار ما سيكون ، أى يعده قابلا لتكييف نفسه وتعديلها بطريقة تلائم مطالب البالغين ، الاخلاقية والاجتماعية . وكانت مهمة المعلم حينئذاك أن يدفع الطفل بكل قواه حتى يتسلق درجات السلم واحدة فواحدة ويبلغ أعلاها . وبتعبير آخر ، كان المعلم يحاول أن يغتصب وظيفة الخالق فى خلق الطفل رجلا على صورته تعالى . ولكن هذه الطريقة مناقضة بلا شك لسنة الطبيعة ، لأن طريقة الطبيعة فى التعليم غير مباشرة فى الغالب .

والدليل على هذا أن الطفل يتعلم المشى وهو راقد على ظهره يرفس بقدميه . والفراشة الصغيرة تعد نفسها للطيران فى الهواء بحبس نفسها داخل حظيرة ضيقة كالكفن ، أى أنها « كفرخ العصفور يتعلم الطيران داخل البيضة » . ولو كان للفراشة مدرسة تتعلم فيها الطيران ، وكان معلمها من الطراز القديم ، لتسرب اليأس الى فؤاده وعمد الى كسر القشرة واخراج تلميذه « الفراشة » منها حتى تتعلم الطيران على عجل بالطريقة التي يريد ، لاتحبس نفسها داخل قشرتها . كذلك الضفدعة الصغيرة التى تقضى الشطر الاول من حياتها سابحة فى الماء ، لو كان لها معلم من الطراز القديم لأخرجها من الماء غاضبا وأمرها أن تخرج الى اليابسة حتي تتعلم التنفس والقفز خارج الماء استعدادا للشطر الاكبر من حياتها . وخطأ المعلم فى جميع الامثلة السابقة جهل القوة الخفية والنشاط الطبيعي اللذين أودع الطفل إياهما منذ تكوينه لحكمة عجيبة ، وهي تحويل الطفل فى الانسان والصغير فى الحيوان الى النوع الجنسى الذى شاءت الطبيعة أن ينتميا اليه . وليعلم المربي أن كل تدخل منه فى نشاط الطفل وعمله ، بغير ضرورة ظاهرة ، يعوق نموه وتقدمه فى ميدان الحياة . ومن المهم جدا أن نذكر أن هذه الفطرة الخفية فى الطفل ليست وحدها كافية لنموه الطبيعى أو تربيته اذ ينبغى أن نضيف الى هذه القوة بيئة صالحة ، وينبغي أن نخلق للناشىء جوا ملائما . ألا ترى الطائر يتخذ الحيطة ويبذل العناية فى البحث عن المكان المناسب لبيضه ؟ ألا ترى الحشرة الصغيرة تعد الجحر الملائم لديدانها الصغار؟ نرى فى الطائر والحشرة ذلك ، ولكنا لانراهما يتجاهلان قوى صغارهما الخفية ، فيستبدلانها بعنايتهما

الله

للاستاذ نجيب محفوظ

تشهد حياة الانسان منذ النشأة الأولى التي عرفها العلم والتاريخ بأن الدين كان وما يزال عنصرا جوهريا فيها ، يقوم بدوره الجليل في صدر الانسان وضميره ويمتد أثره إلى ميدان المجتمع الفسيح فلا يدع ظاهرة من ظواهره إلا ويؤثر فيها ويضفي عليها من لونه ، ولذلك كانت فكرة الله وهي محور الدين وروحه أكبر مايثير الشغف ويغرى بالاطلاع . وما من مفكر أو عالم إلا وقد تعرض لها وكان له عنها رأى أو اعتقاد

ولسنا نحاول الآن أن نسطر موضوعا صوفيا نأتي فيه على خوالج قلبنا وما نقدس وما نعبد ولكننا نريد أن نعرض جوانب هذه الفكرة الموزعة بين المفكرين من مختلف المذاهب لنرى ما قدر لها من المعتقدات والآراء

وقد ذهب المفكرون في تقدير الله ثلاثة مذاهب فنهم من رآه بعين الفكر والعقل والمنطق وهم جماعة الفلاسفة ، ومنهم من عرض فكرته على المناهج العلمية مستعينا بالتجربة والاستقراء وهم علماء الاجتماع ، ومنهم من بذل الجهد لبلوغ غايته بالقلب والشعور وهم طائفة المتصوفين

الله والفلسفة : الفلسفة تؤلف بين أجزاء الوجود وتضمها في وحدة منتظمة القوانين وتضع على قمة هذه الوحدة الله سواء اعتبرته خالقا أو منظما مستقلا عن الكون أو حالا فيه . فلقد تعرضت فكرة الله من بادىء الأمر الى فرضين جعلا من الفلاسفة طائفتين في العصرين القديم والحديث أولهما وهو مذهب المؤلهة يرى الله جوهرا مستقلا عن العالم يسمو بذاته على ذاته ويتميز بجوهره عن جوهره ويعلو بماهيته على قوانينه ، وثانيهما وهو مذهب الحلول يرى أن الله يحل في الكون ويمتزج به امتزاجا يمتنع معه وجود خالق ومخلوق ، قديم وحادث ، فليس يوجد إلا جوهر واحد الاشياء أعراضه وأحواله

ولنعرض عليك آراء بعض الفلاسفة القدماء من كلا المذهبين . فمن اتباع المؤلهة افلاطون والله عنده روح عاقلة ، تدبر شئون العالم وتسهر عليه واضعة نصب عينيها المثال الاحسن ، وهو

فشر النظام والتناسق والجمال في كل مكان . ولكن افلاطون أبقى فى الهه نقصين فجعله منظما الوجود لا خالقا له ورضى أن يكون خير كامل القوة لأن الشر لا يزول كله من العالم ومحال أن يزول كله

ومن عمداء هذا الرأي أرسطوطاليس وكان يرى أن الوجود أزلي وأن الحركة أزلية ، ولكن الحركة ليست علة ذاتها فلا بد من وجود علة أولى هى علة كل حركة ، وهى ذاتها غير متحركة وهو ما يسميه بالمحرك الاول ، وكل مافى هذه العلة كامل وهي الله

وماهية الله عقل خالص ولكن ماعسى أن يكون موضوع هذا العقل ؟ هل يكون الوجود ؟ كلا . لان الوجود ناقص وقد يوجد من الاشياء ما الجهل به خير من معرفته، فوضوعه أجل وأكمل ألا وهو ذاته ، فالله عقل يتأمل ذاته أو هو كما يقول ابن سينا عقل وعاقل ومعقول

والواجب ملاحظته هنا أنه مادام الوجود أزليا فالله أرسطوطاليس لم يخلقه وهو الى ذلك يجهله كما رأينا

ونستطرد الى مذهب الحلول ويمثله فى القديم مدرستا الرواقية والاسكندرية .أما الرواقيون فيتصورون العالم كائنا حيا ويجعلون له كيفية الاحياء موضعا للتدبير أو روحا وهي الله . تمتزج به وتكون واياه شيئا واحدا ، ولما كانت نزعة الرواقيين مادية فقد جعلوا الله روحا مادية أو نسمة نارية وان كانت مشبعة بالفكر

وأما مدرسة الاسكندرية فقد آلف مؤسسها أفلوطين بين آراء افلاطون وأرسطوطاليس والرواقيه فقال ن الله ثالوث لانه مكون من ثلاثة أوجه أبدية . فيوجد الواحد المطلق اللانهائي الذي هو مبدأ كل شيء والذى يعلو بذاته على كل شيء ، ومن هذا الواحد يفيض العقل وهومحتوى الافكار ومجتمع المثل العليا كما تصورها افلاطون وماهية هذا العقل أن يتأمل ذاته ، الرأي الذي يذكرنا برأى أرسطوطاليس ، ومن العقل يفيض الروح ، وهذه اذا تحركت أحدثت الزمان والمكان والطبيعة وهذه تذكرنا بالروح الرواقية

وهذه الفلسفة حلولية من حيث أنها لا ترى وجودا لغير الله ، والله لا يخلق الوجود ولكن الوجود يفيض عنه كما تصدر الحرارة عن النار ، ولكنها من ناحية أخرى ليست كاملة الحلولية كحلولية الرواقية لان الله ليس مستغرقا بأ كله فى الوجود وما تزال هنالك وجوه للتمييز بين تلك الاوجه الثلاثة

فاذا عرجنا الى العصور الحديثة ألفينا تغيرا ظاهرا فى فهم فكرة الله يظهر أثره فى مذهبي المؤلهة والحلولية . فعند المؤلهة نجد أن الله اتصف باللانهاية ففلاسفة هذا الرأي يرون أننا وان استطعنا أن ندرك الله الا اننا نعجز العجز كله عن أن نحيط به ، كما يرون أن تحديد صفات الله يأتي من قياس كمالاته العليا على مثال كمالاتنا الانسانية الناقصة

كما اتصف بالقدرة على الخلق ، فالله القديم كان منظما لا تتجاوز قدرته التنسيق والترتيب أما الله الحديث فخالق بمعنى أنه يخلق — كما يقول سنت توماس — من العدم ويحتاج اليه كل الوجود ولكن التسليم بهاتين الصفتين يثير مسائل عسيرة الحل ، فالتسليم لله بصفة اللانهاية والاخذ بالاعتراض الذى مؤداه ان لانهائية الله وكمالاته يجب ألا نتصور على مثال الصفات الانسانية يوقعنا فى حيرة كبري لغموض معنى الله واغلاق أذهاننا عن تصوره . فما هى ماهيته ؟ وعلى أى مثال يمكن تصورها ؟ واذا كانت طبيعته بهذا الغموض فكيف يمكن أن نضيف اليها أى صفة من الصفات اطلاقا ؟

وأما مذهب الحلول فقد اتخذ أشكالا كثيرة نكتفي بعرض مذهب سبينوزا منها ولعله ابهاها جميعا ، . يعرف ذلك الفيلسوف الله بأنه كائن مطلق اللانهاية ، أى أنه جوهر مكون من أعراض لا متناهية كل منها يعبر عن ماهية لا نهائية أبدية ، والجوهر هو مايقوم بنفسه ويدرك بذاته دون حاجة الى سواه ، وعليه فالله هو الجوهر الاوحد وهو يحوى فى ذاته كل ما يوجد ، فهو يمتد فى أعراض لا متناهية العدد لا نعرف منها سوى اثنين الفكر والامتداد ، ولا نتصور أن هذا الفكر الذى نضيفه لله كفكرنا مركب من عقل وارادة مثلا والا كنا نتصور الله على مثال الانسان ، كذلك اضافة الامتداد اليه ليس تعنى أنه جسماني ، فهذا الامتداد هو الماهية التى لا تتجزأ ، وأما بقية الأشياء الجزئية فليست الا أحوالا من تلك الاعراض الآلهة فالنفوس أحوال من عرض الفكر والاجسام أحوال من عرض الامتداد ، وجميع ذلك هو الله ، فجميع مافي الوجود من أجسام ونفوس هي أحوال من الامتداد والفكر الذين هما عرضان من أعراض الله اللامتناهية فجسمك حال من عرض من أعراض الله ونفسك حال من عرض من أعراض الله وأنت — فى النهاية — الله

ومما يلاحظ أن الحلوليين لا يدعون مجالا للخلق لان الله هو الموجود فقط ولكن يبقى سؤال معضل وهو كيف يمتد الجوهر الى أعراض والاعراض الي أحوال ؟ كيف آل جوهر الله الى الاحوال التى أنا واحد منها

هذان هما المذهبان اللذان يتنازعان على تفسير طبيعة الله ، وهما ليسا كل مايقال في الفلسفة الدينية فقد يعترض معترض ويقول فلتكن هذه هي الآراء في الله ولكن ما الدليل على وجوده ؟

وبهذا السؤال ننتقل الى مسألة أخرى هي البراهين على وجود الله

وعندنا ثلاثة أنواع من هذه البراهين

١ — براهين ميتافيزقية تقوم على النظر العقلي البحت

٢ — براهين طبيعية تقوم على تأمل الوجود الخارجي

٣ — براهين أخلاقية تقوم على الاحساس بالعالم الاخلاقي

فأول البراهين الميتافيزقية البرهان الوجودى وأول من لفت النظر اليه سنت انسلم ثم أتبعه ديكارت فليبنتز فالحلوليون ، وهذا البرهان يبدأ من تعريف الله بالكمال المطلق وهو مايظن القائلون به أنه يوجد في العقل بالبداهة التي تمتنع على كل شك ، ويستنتجون من هذا التعريف أن وجود الله (في الواقع) ضرورى ويمكن وضعه على الشكل الآتي

الله هو الكائن المطلق الكمال (وهذه حقيقة بديهية لا تحتاج الى استدلال)

الوجود كمال

الله موجود

فالله هو الكائن الوحيد الذى تستدعي ماهيته وجوده أوكما يقول ديكارت ماهية الله تستدعى أن يكون موجودا كما أن ماهية المثلث تستدعى أن يكون مجموع زواياه = ٢ ق

ولو أننا فرضنا أن الكائن المطلق الكمال غير موجود في الواقع لعنى فرضنا أنه غير كامل ولوقع التناقض الملموس

والحق ان تصور كائن كامل شيء وفرض وجوده في الواقع شيء آخر . اذ كيف يجوز أن نتجاوز مجرد التصور العقلي الى تقرير وجود حقيقى

وقد يمكن التسليم بمثل هذا الدليل اذا أمكن تصديق فلسفة افلاطون الواقعيه التى تجعل للمثل العليا العقلية حقيقة واقعية في عالم آخر هو عالم المثال فالفكرة العقلية المجردة لا في هذه الفلسفة حقيقة واقعية لا شك فيها

ويوجد برهان آخر ينحو نحو البرهان الوجودى من حيث اعتماده على العقل ولكنه يميل نوعا الى المنهج التجريبي ، وواضعه ديكارت فهو يقول انه يجد في عقله فكرة عن اللاتناه وتساءل من أين يمكن أن تأتى لعقله هذه الفكرة ؟

أما ان تأتيه من العالم الخارجي أو من ذاته ، ولـكن ليس فى العالم الخارجي شيء لامتناه، والعقل ذاته متناه محدود فلا يستطيع أن يبدع اللامتناهي ، واذ ثبت أنها ليست من احدى هاتين الناحيتين فلا بد أن الذى خلقها فى عقله كائن لا متناه أو هو الله نفسه ، تركها فى العقل الانساني كأثر للصانع فيما صنع

والبراهين الطبيعية تقوم على التجربة والمشاهدة المحسوسة وقد ميز كانت منها نوعين . واحد يعتبر العالم ككل واحد وآخر يتوجه بملاحظته الى حالة من أحوال الوجود مثل النظام ثم يصعد منها مهتديا بقوانين السببية حتى يبلغ الله ، والاول هو برهان فلاسفة المدرسين وفحواه أن العالم فى مجموعه ممكن الوجود أى انه من الممكن أن يوجد ومن الممكن ألا يوجد وليس به من ضرورة توجب أن يكون موجودا أو تمنع تصور عدم وجوده ومن كان هذا شأنه فهو لا بد أن أتى عليه دهر لم يكن موجودا فلو لم يكن يوجد كائن واجب الوجود وقادر على ايجاد غيره لما وجد هذا الوجود الممكن

ويبدو هذا الدليل مقنعا لأنه يعتمد على التجربة والاحساس ولـكن كانت يقف أمام فرض وجود الخالق الموجد لذاته الواجب الوجود وقفة التردد والشك لأنه فكرة مجردة لا تمت الى التجربة بصلة من الصلات

والثاني يبدأ من مشاهدة نظام الـكون العجيب الذى يدل فى كل خطوة من خطواته على غائية ظاهرة . ولما كانت الغاية قرينة العقل لأنه هو الذى يقدر ويدبر فلا بد أن يكون للـكون علة عاقلة

ولـكن مشاهدتنا هذه لا تـكفى للحـكم على وجود اله كامل لامتناه ، فتجربتنا محدودة ، وما تعرفنا من غايات الطبيعة ونظامها محدود بها ، فهو لا يساوى الاستدلال على آله كامل لامتناه

وأما البرهان الاخلاقى فيعتمد على وقائع خلقية وظاهرات نفسية ومؤداه أن الشعور الاخلاقى والتمييز بين معاني الخير والشر وحساسية الضمير تشير جميعها إلى وجود آله مشرع يفسر وجوده تلك المشاعر السامية التى تختلج فى الوجدان والتى لا يمـكن أن تصـدر الا عن مثله ، وهو ليس برهانا بمعناه المنطقى ولـكنه اعتقاد قلبى جدير باحترام العقل النظري وان كان بعيدا عن ميدانه

هذا استعراض لفروض الفلسفة عن فـكرة الله من حيث طبيعته ووجوه الاستدلال عليه أو هو ذكر لجهد العقل المجرد فى محاولاته لمعرفة الله

وفى فرصه أخرى نأتى على ذكر آراء الاجتماعيين والصوفيين

الصدى

أمازح أم ساخر ياصدى   تردد الصوت ولفظ المقال
الصدي . مقال — مقال — مقال

أم قائل ذو خبل لا يعى   أغراه بالترديد مس الخبال
الصدى . خبال — خبال — خبال

أم أنت طفل عابث لا ينى   يلهو ويحكى مايري من فعال
الصدى . فعال — فعال — فعال

أم ببغاء مالها فطنة   كم رددت من حكمة أو مثال
الصدى . مثال — مثال — مثال

أم أنت روح لا ترى تبتغى   أمرا لدي الاحياء صعب المنال
الصدى . منال — منال — منال

أم أنت بعض الجن فى خدعة   تسكن فى الاطلال أو فى الجبال
الصدى . جبال — جبال — جبال

أم أنت شيخ يفن إن سها   ردد ما قيل له من مقال
الصدي . مقال — مقال — مقال

أم كأصم رام إخفاء ما   به فلا يطلب رجع السؤال
الصدى . سؤال — سؤال — سؤال

أم أنت مثل الناس فى غيهم   كم ردد الجهال قولا يقال
الصدى . يقال — يقال — يقال

يخشون إن شذوا بانكار ما   قد ألفوا من ترهات الضلال
الصدى . ضلال — ضلال — ضلال

فرددوا بقيى على ألفة   بينهم أو رددوا من كلال
فقولهم مثل الصدى رجعة   وعيشهم ما بين قيل وقال
الصدى . وقال — وقال — وقال

حكيتهم فى عيشهم ساخرا   أذلك العيش وعقبي المآل

عبد الرحمن شكرى

الاشتراكية

للاستاذ عبد الحى الالفى

الاشتراكية عقيدة الذين يؤمنون بأن الجماعة وجدت لترقية الفرد وتأييد الحرية وأن مراقبة أحوال الحياة الاقتصادية معناه مراقبة الحياة نفسها ، فهي ترمي الى المساواة الاقتصادية بين الافراد وسحق استغلال الفرد أو الجماعة أو الدولة للفرد ، أى أنها ترمي الى وجوب النظر الى كل انسان كغاية فى نفسه لا كوسيلة لغاية انسان آخر

وهى لكى تصل الى غرضها تعمل على الاستبدال بالنظام الاجتماعى الحاضر نظاما آخر تسوده الحرية البشرية وتتساوى فيه الفرصة للجميع ، فالاشتراكية من الناحية الادبية عبارة عن وسيلة لبناء الحرية الفردية الحقة ، ومن الناحية الاقتصادية نظام سيوضع تحته نهاية للاستغلال ، فيتطلب ذلك وضع حدود لحيازة الملكية الخاصة وتنظيم الانتاج والتوزيع بواسطة المجموع

« * »

قلت فى تعريف الاشتراكية إنها تعمل على المساواة الاقتصادية بين الافراد لأنها ترى أن عدم المساواة ظلم وأن غنى فريق من الناس يأتى على طريق أفقار فريق آخر ، ولذلك فهي ترى وجوب القضاء على نظام الملكية الذى يمكن الاغنياء من اغتصاب حقوق الفقراء ، غير أن المذاهب الاشتراكية اختلفت فى تقرير درجة الغاء الملكية ، فالهيوعية هي المذهب الوحيد الذى يرى الغاءها كلية بينما يرى «الكليون» الغاء ملكية وسائل الانتاج فقط والاحتفاظ بملكية ثروات الاستهلاك . وبينما يرى الاشتراكيون الزراعيون وجوب الغاء الملكية بالنسبة للارض الزراعية دون غيرها ، يرى السان سيمونيون أن ما يجب الغاؤه من الحقوق التى تخولها الملكية هو الوراثة فقط

« * »

إن ظهور الحركة الاشتراكية امر طبيعي ونتيجة حتمية للتطور الاقتصادى وسنة الترقى فقد قال جون ستيوارت مل : « ان شكل الاتحاد الذى يلزم توقع سيادته إذا ظل الانسان يرتقى ليس

بذلك الاتحاد الذى يمكن أن يوجد بين الرأسمالى كرئيس وبين عمال لاصوت لهم فى الادارة . ولكن ذلك الاتجاه هو اتحاد العمال أنفسهم القائم على قدم المساواة ، مع تملكهم لرأس المال الذى يسيرون به أعمالهم . والعمل تحت إدارة مديرين منتخبين قابلين للعزل منهم فمن كان يرى أن المستقبل للاشتراكية . إذ لابد للانتاج من تعاون الافراد لاستغلال الطبيعة . فرأس المال لاينتج إلا بقوة العمل

وكان طبيعيا بعد أن أظهرت الثورة الفرنسية فكرة الحقوق الفردية والعدالة والمساواة ، كان طبيعيا أن تتحقق المساواة الاقتصادية فبدأ الفرد يثور على النظام الرأسمالي الذى يجعل منه سلعة تباع وتشترى ويخضع ثمنها لقانون العرض والطلب . ومما زاد الطين بلة أن التنافس بين العمال قد أدى الى الانحطاط بأجورهم الي حد الكفاف بينما تقبض الاقلية الرأسمالية على جميع وسائل الانتاج وتستولى على جميع الارباح التى انتجها العامل المسكين . فانتشار الثروة المفرطة والفقر المدقع وتمشيهما جنبا الى جنب كان أحد الاسباب الرئيسية لنجاح الدعوة الاشتراكية ، ولقد قال كارل ماركس « إن الاشتراكية تنتشر عندما تظهر الفاقة » ولذلك تفهم الاشتراكية أحيانا كمجرد مشروع لعمل بعض الانقلابات الاقتصادية بقصد إزالة الفقر . ولكن هذا جزء من الاغراض الاشتراكية ليس الا

وعلى ذلك فاننا نرى أن الاشتراكية قد تأتي اما كنتيجة للترقى وإما كنتيجة لالحاح الفقر . ولكنها قد تأتى أيضا من طريق اليسر . فالجيل الحاضر مثلا يلبس أحسن من جدوده ويسكن أحسن منهم ومع ذلك فهو يعمل على تحقيق الاشتراكية . فهى إذن ليست فراراً من البلاء الذى سيأتي فحسب ولكنها تطاول الى حالة تكون فيها الخيرات التى تتمتع بها الاقلية الآن من نصيب كل الناس . واذن فقوتها الدافعة ذهنية كما هي اقتصادية

ولقد فكر الانسان فى الاشتراكية منذ زمن طويل فيمكننا أن نستشف الروح الاشتراكية من بين ثنايا جمهورية أفلاطون فى عهد اليونان الاقدمين كما تظهر تلك الروح جليه فى كتاب السير توماس مور عن جزيرته الخيالية الذي كتبه سنة ١٥١٦ وأخذت الاشتراكية منذ ذلك الحين ما يعرف « بالدور الطوبوى » نسبة الي ال Utopia . ولقد حاول بعض المصلحين الاجتماعيين فى ذلك العهد ايجاد جماعات سامية تقوم بينها العدالة فأقاموا قري جديدة كانوا يظنون أنها ستكون أساسا لعالم جديد ولكنها فشلت لسوء تنظيمها الاجتماعى

أما الاشتراكية بشكلها الحديث فلم تظهر إلا بعد الاضطراب الاقتصادى الذى أحدثته ثورة الانتاج والصناعة الكبرى فى أوائل القرن التاسع عشر واحلال الآلة محل الانسان فى أعمال كثيرة مما أصاب العامل بأضرار جسيمة . ومن ثم ظهر كارل ماركس بتعاليمه الثورية الجديدة التى ما زالت الى وقتنا هذا تعتبر دستور الاشتراكية

« * »

تعمل الاشتراكية على محو نظام الملكية الفردية وخصوصا تلك التى تؤدي الى عدم المساواة وهى تدعو قبل كل شيء إلي ازالة طبقة المترفين والقضاء على الدخول التى تأتى عن طريق الفائدة والايجار . ولا تسمح إلا بالدخل المكتسب بعرق الجبين

وترى الاشتراكية أن أكبر دليل على فساد النظام الاجتماعى الحاضر هو قيام ما يعرف بحرب الطبقات » والذى أدى الى أن يتحد الاجراء فى نقابات وأن يتحد أصحاب العمل فى اتحادات . ومن ثم تعلن الاضرابات وتقوم الاضطرابات بشأن الاجور وساعات العمل والاستغلال وقيام الرأسماليين لحماية ايراداتهم وما يتبع ذلك من اختلال عظيم فى الانتاج . ولقد حفز ذلك الفساد فى النظام والذى لابد أن يفضى فى النهاية إلى خراب تام لجميع طبقات المجتمع ، حفز ذلك الاشتراكى لنشر دعوته حاثا على العمل لاعادة بناء المجتمع . ومن هنا يتضح أن الاشتراكيين لا يهاجمون الافراد بل على النقيض هم يعتبرون الرأسمالى والعاطل ضحايا هذا النظام إذ الرأسمالى مكره على الاذعان لضغطه السيء كما يذعن العاطل لألم الفقر . فانه ولو أن النتيجة ليست واحدة بالنسبة لكل منهما على حدة إلا أنها واحدة بالنسبة للنظام الاجتماعى . من أجل ذلك يجب أن نعرف ان الاشتراكي لايناصر طبقة ولا يتحيز لواحدة على الاخري بل انه ينادى نداء اجتماعيا عاما

ولكى تصلح الاحزاب السياسية الاشتراكية هذا الفساد رأت أن تقسم برنامجها الى قسمين رئيسيين . قسم المطالب المباشرة للاشتراكية وقسم التشريع الانشائى ، وهى ترمى بالقسم الاول من برنامجها الى تلطيف حدة الضرر الذى يصيب الانسان من جراء فساد النظام الاجتماعى الراهن وفى القسم الثانى اقترحت أشياء أخرى كباكورات للفكر الاشتراكى الناضج

ولكى يحقق الاشتراكى برنامجه قال بوجوب سيادة الامة وعارض فى أن تكون الملكية من الصفات اللازمة للتصويت أو أن يعطى حق التصويت للذكور دون الاناث بل لقد ساعد على التصويت باوسع معانيه حتى يكون تمثيل الامة فى مجلسها كاملا لايقتصر على طبقة دون أخرى

فهو يطالب بالديمقراطية لانها والاشتراكية مظهران لفكرة واحدة ، فان كانت الديمقراطية السياسية قد جعلت ادارة أمور الدولة حقا مشتركا بين الجميع فقد جعلت الاشتراكية ادارة وسائل الانتاج والاستبدال وناتج العمل حقا مشتركا بين الجميع

وهو يرى أن الديمقراطية ليست غاية فى نفسها فقط من وجهة كونها دليل على كمال الحقوق المدنية بل يرى أنها وسيلة للتحسين واعادة البناء الاجتماعى ولذلك لجأ للبرلمان لتنفيذ برنامجه . ولقد كان البرلمان عند حسن ظن الاشتراكيين به ، فقد فازوا بتنفيذ معظم الجزء الاول من برنامجهم الخاص بنظام العمل فى المصنع ولائحة المنجم ومعاشات المتقدمين فى السن وتعويض العمال العاطلين واطعام الاطفال فى المدارس بالمجان فى البلاد الصناعية الكبرى كانجلترا وألمانيا

أما القسم الثاني من البرنامج فهو القسم الانشائى الذى يتوق الي تنفيذه الاشتراكيون والذى يرمي الى تغيير نظام الملكية الحاضر وجعل موارد الثروة فى أيدى الحكومة أو المجالس البلدية أو العمال مما ينتج عنه تغيير فى نظام التوزيع ونظام المصنع والنظام المالى والمبادلة ، وسنبحث فى كل منهم على حدة

وانه وان كان يكفي جدا أن نطالب الاشتراكي باثبات أن نظريته معقولة فحسب . اذ من العبث اقامة بناء اجتماعى كامل نظريا بل تترك التفاصيل لما يوحيه اختيار النظم الجديدة

وان كان ذلك يكفى فانه لايمنع من أن نورد الهيكل الذى يمكن أن يبنى عليه النظام الاشتراكى

* * *

تقول الاشتراكية ان الرأسمالية تسير الى التحطم بتقدم قواها الاقتصادية الانتاجية وان تدهور الصناعة المتنافسة وظهور الاحتكار هما النتيجة المحتومة لنظام الانتاج الكبير . والتشريع وحده لايمكنه أن يمنع الاحتكار ولا أن يمنع مايتبعه من عدم المساواة اذ الملكية بشكلها الحاضر اداة لتجريد الجماهير العظيمة من الناس من الملكية والحكم عليهم بالفاقة والفقر بينما منطق الاشتراكية أنه مادامت الثروة تخلقها الجهود المشتركة فيجب أن تكون ملكيتها أيضا مشتركة وان تدار بطريقة مشتركة

لو نظرنا الى النظام الحاضر لوجدنا أنه لايقوم على العدالة بالنسبة للحيازة الخاصة كما قد

يتبادر الى الذهن وكما يقول خصوم الاشتراكية دائما اذ يقول جون ستوارت مل « ان الجزاء بدلا من أن يقسم طبقا لعمل الفرد فانه فى الغالب يقسم بنسب غير عادلة . فالذين يعملون هم الذين يأخذون الاقل ويحرمون الكثير »

وان فى ذلك لا كبر دليل على خطأ هذا النظام ولذلك تعمل الاشتراكية على اصلاح هذا الخطأ بالغاء الملكية الخاصة التى تؤدى الى هذا الاجحاف بحقوق الانسان ، أما الذين يشيعون عن الاشتراكية أنها تطلب الغاء الملكية الخاصة كلية فهم فى الحقيقة مضللون اذ أن نظام الجماعة اليوم مؤسس على أن غالبية الشعب لا يمكنها أن تحصل على الملكية الخاصة الكافية لاعطائها كثيرا من الحرية فى العمل والاختيار فى الاستهلاك فان الجزاء على عمل العمال اليوم ليس الملكية ولكنه أجر الاسبوع الضئيل

وعلى ذلك فطلب الاشتراكية لاعادة توزيع الملكية لا يقصد به الغاء كل الملكية الخاصة بل على العكس يراد به أن تحصل جماهير الشعب — وهم أغلبية الجمعية الانسانية — على الملكية الخاصة . ولذلك فقد قرر بعض الاشتراكيين أن الفرد فى النظام الاشتراكى أن يملك ملابسه وأثاث منزله وأن يملك منزلا ويوفر نقوده ، ولكنه يمنع فقط من كل ما يؤدى الى نيله دخلا لم يكسبه بمجهوده . فلا يسمح بملكية الاموال الموظفة ولا بعقود الايجار أو الريع أما عن الارض فهناك خير كبير فى رأى الاشتراكيين فيها . فالمتعصبون منهم يرون أن الارض اداة انتاج يجب أن تكون ملكا للجميع

ولكن يرى بعض الاشتراكيين الالمان ترك صغار الملاك فى أراضيهم — اذ من الصعب على الحكومة أن تقوم بالزراعة على نطاق واسع — وانه ليس فى هذه الترخيصات ما يخالف النظرية الاشتراكية . أما العقارات المغلة كالارض والمناجم والمصانع فلا يملكها الافراد وانما تملكها وتديرها الأمة ممثلة فى هيئاتها النيابية أو يملكها ويقوم بادارتها العمال أنفسهم كما يرى الاشتراكيون النقابيون

وعلى كل حال ترمي الاشتراكية الي الغاء الملكية اما جملة واحدة أو تدريجا عن طريق الغاء الوراثة أو وضع ضريبة تصاعدية على الدخل ورأس المال والميراث تكون فى الواقع بمثابة نزع الملكية من أيدى أصحابها . وهذا الرأى الاخير هو الذى أخذت به الدول الصناعية الكبرى وفى مقدمتها انجلترا . وليس ثمة ما يدعو الى شرعة التخلص من الطبقة المالكة . صحيح ان استمرار

وجود طبقة من الناس لاعمل لها يتنافى مع المبادىء الاشتراكية ولكن يجب أن يكون التخلص من هذه الطبقة على مهل دون الاضرار باى فرد منها بل يجب أن يعوض عما ينزع من يديه أو أن يؤمن على دخله طول حياته اذ ان نبراس الاشتراكية هو العدالة . والاجحاف بالمالك باعتباره فردا يتنافى مع العدالة

* * *

غاية الاشتراكية من ادخال أدوات الانتاج فى يد الحكومة — حسب أكثر الاراء الاشتراكية انتشارا — أن تعم الفائدة بين الجميع والا تستأثر بها طبقة معينة . فهي ترمي بتغيير نظام الملكية الى تغيير التوزيع

والتوزيع تحت النظام الاشتراكى سوف يكون على طريقة غاية فى البساطة . فالاجور سوف تكون المورد الوحيد أما الايجار والفائدة فسوف يختفيان . وطبيعى أن يكون هناك أشخاص يتناولون معاشا ولكن سوف تمحي تلك الطبقة المترفة المكونة من أشخاص قادرين على العمل لكنهم يعيشون فى بحر من الكسل وتأتيهم أرزاقهم وهم نائمون . أما وقد قلنا ان الاجور ستكون المورد الوحيد لكل انسان فيهمنا أن نعرف كيف نحدد توزيع الاجر على كل نوع من العمال

هناك ثلاث قواعد أساسية لهذا النوع هى الحاجة والتضحية والكفاية . فالتوزيع حسب الحاجة هو أبسط هذه الانواع اذ يتساوى فيه الجميع ، أما مبدأ التضحية فمعناه أن العامل يجب أن يدفع له بقدر ماأنفق من مجهود أى بالنسبة لدرجة عمله من الصعوبة . اذ لاتتساوى الاعمال فى درجة الصعوبة . فساعة يقضيها عامل فى عمل صعب تساوى ساعات يقضيها آخر فى عمل سهل . أما التوزيع حسب الكفاية فيقضى بان العامل يجب أن يكافأ بقدر ما أعطى لدخل المجتمع ، فالقادر القوى اليقظ لايتساوى مع الضعيف الغبي

وانه وان كان هذا المبدأ يناقض مبدأ الحاجة بعض المناقضة الا أنه يبدو عادلا اذ أنه يستحث الهمم ويشجع العامل على استعمال مواهبه طالما أن فى ذلك مكافأة أكثر اذ لو أنه كوفىء بقدر ما كوفىء الضعيف لماتت فيه روح الجد ولعمل متكاسلا بقدر مايطلب منه فقط . فقليل من عدم المساواة واجب ولكن الى حد

تلك هي مبادىء التوزيع الثلاثة وهي أعدل مايمكن أن يطمع فيه انسان

يجب أن يفهم بوضوح أن الدولة الاشتراكية ستتضمن نظاما صناعيا يكون له أكبر تأثير على الرأى العام كما سيبقي كمكابح للنظام السياسى ، فسيعهد الي سلطة ادارية بتنظيم الانتاج بما يتفق وحاجات المجموع وسيكون على رأسها أقدر رجال الاعمال والاقتصاد والعلماء الموجودون فى البلاد وستكون بعض وسائل الانتاج مسؤولة منهم مباشرة كالسكك الحديدية والترع والتجارة الخارجية وتشريع العمال ، وسينظمون الانتاج الاهلى ويثبتون أسعار القطع ويضمنون النظم المالية للمجتمع

أما عن نظام الصناعة فسيكون فى قاعدة البناء جمهرة عمال أكفاء - نتيجة تعميم التعليم - وفوقهم فريق الرؤساء ثم المديرون الى أن تنتهى بالمجلس السابق الذكر ، وبما أن كل نظام انتاجى يلزم أن يتحمل نفقات تحسينه فسيكون لكل صناعة اخصائيوها ، وستكون الكفاية عامة لاتنحصر فى طبقة أو نوع واحد من العقليات لان الفرص ستكون متساوية للجميع فيبز صاحب الكفاية غيره وتبلغ مهارة العمال أكبر حد مستطاع ، ولكن مالنا ولهذا التفصيل فى النظام ؟ يجب أن نترك ذلك للاختبار يرشدنا عن أحسن الطرق لادارة المصنع والعمال وكل مايجب أن نعرفه أن المصنع سيكون ملكا للجميع

* * *

لقد وضع الاشتراكى برنامجه المالي على أساس تقسيم الدخل الى مكتسب وغير مكتسب ، ومثال النوع الاخير هو الايجار ، ولذا فهو يطلب فرض ضريبة ثقيلة عليه وذلك لكى تنهدم طبيعة احتكار الاراضى وكذلك الحال بالنسبة لفائدة رأس المال حتى ينمحي ذلك النظام المجحف تدريجيا

ولهذا النظام المالى ثلاث نتائج مهمة ، فانه سيفتح موارد الدخل الاهلى فتدر ربحا كبيرا نتيجة حرية استعمالها ، وسيهدم قيمة الاحتكارات بالنسبة للملاك الفرديين وبذلك يمنع من وجود فرص للاستغلال وسيخفف الاثقال التى ولدها رأس المال الصناعى فتمتد الصناعة وتهبط الاسعار

* * *

سوف تكون هناك نقود كوسيلة للتبادل ، وستكون نقودا معدنية لانها متينة ونظيفة ، وسيوضع علي السلع مقدار مابذل فيها من العمل من جميع نواحيه ويأخذ المنتج تذاكر بقدر ما أنتج يمكنه أن يستعملها أيضا كنقود

وعلى ذلك نستنتج أن السلع سوف لاتتحد أثمانها بالنسبة للنقود المتداولة ولكن بالنسبة لما بذل فيها من العمل حتى لاتكون هناك تقلبات فى الاسعار ، وبالطبع سوف يكون استخراج

المدن الذى يستعمل كنقود عملا حكوميا وذلك لتحديد كمية مايضرب منها

* * *

إن الذين يعتقدون أن الاشتراكية تستلزم تغيير نظام الحكم ووجوب إزالته بالقوة كثيرون وما جاء هذا الا لقول كارل ماركس بذلك ، ولكن الكتاب الاشتراكيين الآخرين حتى أتباع ماركس أنفسهم يميلون الى تنفيذ أغراضهم بالطرق السلمية . إذ يجب أن نعرف أن شعار الاشتراكية هو التطور لا الثورة وأن ميدانها هو البرلمان وأنه ليس لها أى دخل فى نوع الحكم القائم فقد قال رمسى مكدونلد « الاشتراكية من وجهة النظر العلمية الخالصة ـ كما ثبت من كتابات كثيرة من أشهر شراحها الممتازين والذين أذكر من بينهم « لاسال » ـ لم تعر النزعة الجمهورية أية أهمية جوهرية ، ولقد يقال من الوجهة النظرية إن الجمهورية نظام حكومي يؤيده العقل اكثر من أى نظام آخر ، فيترك الامر لحماقة أناس آخرين ليخرجوه الى حيز الوجود » من هذا نرى أنه ولو أن الاشتراكية تقرر سيادة الامة الا انها لاترمي الى تغيير النظام السياسى ايا كان شكله الفعلى سواءا كان ملوكيا او جمهوريا ، بل لقد ذهب « رودبرتس » وهو من احذق الاشتراكيين الى وجوب التمسك بالنظام الملكى ، كما صور الفيلسوف « كومت » نظاما اشتراكيا راقيا جعل على رأسه هيئة استبدادية ، ومن هنا يتضح لنا البون الشاسع بين الاشتراكية واللاحكومية

* * *

فيما يلى أهم الاعتراضات التى توجه الى الاشتراكية والرد عليها :

يقول خصوم الاشتراكية ان الغاء الملكية الشخصية يفضى الى قتل النشاط فيسود الخمول العالم باسره ، ولو كان ذلك حقا لكان المجتمع الرأسمالى الراهن قد ساده الخمول ، لأن العاملين فيه لايغنمون وانما يغنم فيه من لايعملون

وكثيرا مايقال ان الاشتراكية سوف تهدم الحرية ، ولكن سوف لاتكون حرية اغلب الناس تحت النظام الاشتراكى اقل منها فى الوقت الحاضر ، فان تصرفات الانسان الآن محدودة بوجوب سعيه لكسب عيشه وبالقوانين والعادات وبالبيئة التى يعيش فيها ، ومع ذلك فانه اذا اعتمد رجل فى وجوده على سخاء رجل آخر ـ كما هو الحال الآن ـ فقد يعيش متمتعا ولكنه يبقى رقا ، فمن اجل ذلك الاسترقاق يؤكد الاشتراكيون ان التجارة ورأس المال اللازم للسير بها لابد ان يكونا تحت رقابة كلية لافردية . اما ماقد تسنه الجماعة الاشتراكية من القوانين فسوف

لاتكون مقيدة للحرية بل ضمانا للحرية ككل قوانين الجماعات التي ترمي الى جعل الافراد يتمتعون بحقوقهم على قدم المساواة

وأخيرا يقال أن الفن سيموت متى جاءت الاشتراكية لانه لن توجد حرية ذهنية تحت نظام مادى ! ! أفلم يكن الاولى أن تموت العبقرية في نظامنا الراهن ؟ أم هو نظام غير مادى ؟ ! ان هذا الاعتراض بعيد كل البعد عن الصواب إذ أنه من المحال في جماعة منظمة اقتصاديا أن يصير عقل الانسان خامدا بل على العكس إن في وجود الكفاية والفراغ وتحرير الذهن من تسكريس قواه للتفكير فيما يقوم بأود الانسان كل ذلك فيه أكبر محرك لجميع الاعمال العقلية والثقافية خصوصا اذا تذكرنا أنه ستتساوى الفرص للجميع لاظهار عبقريتهم فلا يغمط من يستحق الظهور

* * *

تتهم الاشتراكية باتهامات كثيرة ليست في برنامجها ، فهي وان كانت ترمي الي ماترمي اليه الشيوعية أو النظم المشابهة من اعادة توزيع الثروة إلا انها تفترق عنها في أشياء كثيرة. ثم أنه لافرق بين الشيوعية والاشتراكية في الغاية إلا أننا اذا اعتبرنا الوسائل وجدنا فرقا كبيرا بين الشيوعية التى تقول باستعمال العنف والاعتماد على الثورة لتحقيق مبادئها وبين الاشتراكية التي تقول باستعمال الوسائل البرلمانية فقط . وثمة فرق آخر كبير بينهما ، فالشيوعية تفترض مخزون الثروة مشتركا بين أفراد المستهلكين لا بالنسبة لما يؤديه الفرد منهم من الخدمات ولكن لما له من الحق الانساني في الحياة فمبدأها « من كل بنسبة قوته الى كل بنسبة حاجاته » بينما تقول الاشتراكية بوجوب توزيع الثروة حسب الخدمات لاحسب الحاجات ، فهما تتفقان على جمع الثروة وبالاشتراك وتختلفان في طبيعة مايدعيه الفرد ، فالاشتراكية وان كانت تشترط في الدخل أن يكون كافيا لجعل مستوي الحياة طيبا إلا انه يجب أن يؤخذ عن خدمات قدمت لامجرد سلاح لاستغلال عمل الآخرين ، ومن هنا نشأ لزوم وجود وسيلة للتبادل في النظام الاشتراكي أيا كان نوعها بينما لاتستدعي الشيوعية مثل هذه الوسيلة

كما يجب أن نعرف أن الكلام عن الثورة كطريقة اشتراكية خطأ كبير . فالثورة لايمكن أن تنتج اشتراكية لان الانقلاب الذي يفكر فيه الاشتراكيون ليس انقلابا سطحيا مما قد يكون للثورة فيه نصيب بل يرون تحقيق برنامجهم عن طريق تشريع علاقات اجتماعية خاصة يكون قد ثبت بالاختصار أنها صالحة للجماعة

وقد يتعود الناس المبادىء الاشتراكية من حيث لايشعرون وحتى لو تصوروا أنهم يتجنبونها لان وجهة نظرها تؤثر في أفكارهم تأثيرا كبيرا وفي ذلك مايفسر لنا بوضوح سبب أخذ الاحزاب بارشادها في سن القوانين

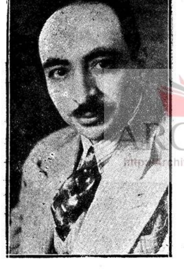
قصة مصرية

قدم الحاج سليمان

للدكتور ابراهيم ناجي

في ليلة باردة من ليالي يناير سنة ١٩١٢ كان الازدحام في غرفة « الاستقبال » بقصر العيني فوق المألوف . وكان الدكتور ذهني الغني المترهف المنتدب حديثا للعمل بها ليس من أهل الصبر على المشاق . ولكنه كان من أرباب الذكاء والفطنة الذين ليسوا في حاجة الى اجهاد أنفسهم . فقد اجتاز كل سني الدراسة متفوقا ، يرتدي أنخر الملابس ، ويضع منديلا حريريا في الجيب الاعلى من سترته ، يعني بأن يجعله مطلا على شكل لسان صامت يتحدث عن الوجاهة والنعيم . وينفق عن سعة . ولا تفوته رواية في السينما او المسرح . ويجد وقتا للرقص والحب وربما قضى ليلة في مرقص حتى مطلع الفجر ، فاذا عاد الى منزله لم ينم بل أخذ يقرأ كتابا من كتب المدرسة كما يقرأ رواية مسلية . ثم يتناول طعام الافطار . يقدمه له السفرجي عبد الواحد في « الشقة » الفخمة بجاردن سيتي ثم يذهب الى المدرسة أو المستشفى مبكرا ، ولا تفوته محاضرة ولا مشاهدة . فاذا استمع الى الدرس انطبع في ذاكرة من جديد ، واذا رأى شيئا نقشت الصور في ذهن من الفولاذ . كأن غناه يسهل له الحياة . وذكاؤه يسهل له النجاح . وجماله يعبد لها طرق الحب . لم يكن ذهني يعلم ما هي غرفة الاستقبال بالتحقيق ، وانما كان يسمع عنها ، ففي تلك الليلة الباردة التي كان يجب أن يقضيها في مرقص أو مع أحباب جلس « يستقبل » الحوادث والطوارىء . فمن سكير الى مسموم الى « مسطول » الى مكسور الى « ولادة » عسرة . كل ذلك في ليلة واحدة . وقف متعبا وقد انتكش شعره الاملس وتهدلت خصل منه على جبين ناضر . وارتدى البالطو الابيض ، الذى كان نظيفا جميلا أول الليل فما لبث أن تلوث بالدم ، وصار قذرا كأن له على بدن صاحبه عشرين عاما . أخذ صدره يضيق ، ويشعر بالتعب والكلال ، وتلك كانت الليلة الاولى ، فماذا يصنع اذا استمرت الليالي كلها على تلك الحال . وأخذ يستعين بالقهوة السادة والسجاير ، ولم يكن يضجره التعب والعمل بقدر ما كان يضجره شيء آخر . كان عليه أن لا يخطىء في التشخيص ، كان عليه أن لا يعرض نفسه

لسخرية « أطباء الامتياز » فانهم لايغتفرون الخطأ . ويعيرون صاحبه به . ثم انه ليس هناك وقت للتفكير الطويل . فان « الحالات » تأتي متعاقبة ولا تعطيه هدنة ليرتاح أو يفكر . ثم أن هاته كلها أمور تحتاج إلى غير الذكاء الخارق الذكاء وحده لايجدى ، ثم انه لم يقرأ شيئا من يوم أن نجح فى الامتحان الاخير وكان لايزال يعتمد على ذكائه وما يسمعه ويراه هنا وهناك . ماذا يصنع ؟ ها هي عربة الاسعاف قد جاءت برجل مطبق الفكين وفى شبه غيبوبة ، ماذا تكون ؟ حالة تيتانوس ؟ حالة التهاب سحائى ؟ هستريا ؟ الاغلب أنها تتيانوس لانه يذكر أنه قرأ مرة أن التتيانس يكون مصحوبا بتصلب العنق كما فى هذه الحالة . الغالب انها كذلك وان كان غير متأكد



الدكتور ابراهيم ناجى

وهاته عربة الاسعاف الثانية جاءت تحمل رجلا غائبا عن الصواب ومرسلا من مصلحة السكة الحديدية وليس مع أقاربه غير مذكرة من « حكيم القسم » تقول أنه خفير « مزلقان » وأنه وجد ملقى على قرب من البوابة فى غيبوبة

أخذ ذهنى يراجع أسباب الغيبوبة فى عقله وهى كثيرة لا تقل عن العشرين فلم يحضره منها غير أربعة أو خمسة ، الخمر والبول السكرى والافيون والحشيش والتسمم . . ألم يكن من الصواب أن يفحصه «حكيم القسم » هذا ويرسل معه التشخيص. فبينما هو يفحصه ويحس جسمه جزءا جزءا اذ فتح « سليمان مبروك » خفير المزلقان عينه وصاح « أنا فين »

فصاح ابنه الكبير فرحا « الحمدالله انت فى القصر يابا انت بخير » وصاح الدكتور فرحا أيضا لأن أسباب الغيبوبة انتهت على هذا الشكل البسيط وقال بعد ان تنهد تنهد الراحة « ايه الحكاية ياسليمان ؟ » وكان التمرجى قد جاء ليشخص هو أيضا فمرت يده بقدم سليمان فصاح « أوعى رجلى آه آه . . » ثم قال فى صوت خافت « صدمنى أتومبيل يابيه . وأنا راجل كبير يابيه وعندى السكر من زمان . صدمنى وطار . لكن أنا عارفه وعارف أصحابه . آه . آه يارجلي . ياواد ياعلى خد بالك من أمك ومن أخواتك » ثم أطبق عينه ثانيا على شكل غيبوبة

ومرت ليلة وثانية وثالثة ، وأخيرا فرغ صبر ذهنى ، واعتزم ان يرى له حلا ولكن جاءه الحل من غير أن يسعى اليه ، فقد كثرت أخطاؤه فى التشخيص حتى استدعاه النائب ، وأسر اليه كلمتين فى أذنه ، وأخبره أنه نقل الى جراحة أعلى فأبرقت عينا ذهنى ، وحمد الله وأثنى عليه

ـ ٢ ـ

قصر العينى ذلك البناء الضخم المطل على النيل ، والذى يروى جزءا كبيرا من تاريخ مصر الحديثة ، لو نطق لحدثنا عن محمد على الكبير وكلوت بك الطبيب العظيم ولحدثنا عن تطور الطب فى مصر من يوم أن كان الذين يتعلمون الطب يعدون على الاصابع ، ويجدون أشد المشاق فى التعليم ، ومع كل ذلك فقد نبغوا ، واشتهر منهم كثيرون فى الطب والجراحة أمثال ابراهيم باشا حسن ودرى باشا وغيرهما

ولحدثنا عن عهده أيام تولاه الانجليز ، ولحدثنا عن عهده اليوم وهو أفخر العهود ، فرئيسه مصرى وأطباؤه مصريون يفيضون نبوغا وعلما . ولحدثنا كذلك عن الفواجع التى رآها ، وعن المناحات التى تنصب عند بابه ، على مسمع ومرأى من الناس . ولحدثنا عن التمرجية وما يصنعون بالمرضى لا سامحهم الله . فقد كان تمرجى جراحة أعلى فى عهد هذه القصة رجلا طويل القامة عريض الاكتاف ، يحمل المريض على أصبعه اذا شاء ، ويقلبه على الجنبين مثنى وثلاثا ورباعا بدون أن يبدو عليه الكلال ، واذا أريد حمل أحد الى الخارج أمكنه أن يحمل ثلاثة أو أربعة فى وقت واحد . ومكنته أن يضرب المريض بقبضة يده ـ خفية فى ظلام الليل ـ ضربة واحدة تمنعه عن الصياح والشكوى طول اقامته فى المستشفى ، ولذلك كان « عنبره » دائما صامتا هادئا هدوءا غير معتاد . . .

وقد حاول « الحاج سليمان مبروك » أن يتأوه ويطيل الكلام والشكوى . فلكمه « سمور » التمرجى لكمة أعادت اليه صوابه

وكان الحاج سليمان فى الواقع متألما أشد الالم فقد كانت عظام قدمه مهشمة وكان مصابا بالبول السكرى ، وقد ارتفعت حرارته وأخذ لون قدمه يتغير . فقد ظهرت عليها زرقة غير مستحبة . ومع ذلك فقد سلم أمره لله ، وانقطع عن الشكوى وصار ينظر الى سمور برعب . فاذا خرج سمور لأمور ما أخذ سليمان ينتحب ويقول « عوضك على الله ياسليمان رحت خلاص »

فاذا حضر سمور وقفت الاوركسترا .

ليس ذهني البلطو الابيض النظيف وأخذ يمر فى جراحة أعلى فمر بالمريض الاول ، وكانت حالته عادية ويريد الخروج ، ومر بالثاني وكان عنده كسر مضاعف بالفخذ وقد وضع فى الجبيرة فوقف عندها ذهني فاحصا مدققا ، وسأل المريض عن حاله ، ثم مضي الى الثالث ، فسمع صوت بكاء ونحيب عند الرابع ، فقد مر على الحاج سليمان بضع ساعات لم يفرج عن نفسه فيها بدمعة . لأن سمور الجبار لم يكن يفارق العنبر لحظة ، فاذا لم يكن له عمل مع المرضى أخذ فى الكنس والتنظيف فاذا انتهى ذلك الشيء ، أخذ فى تلميع زجاج النوافذ ، فاذا انتهى ذلك الشيء أخذ فى تلميع حديد الاسرة

وهو بين لحظـه وأخرى يلق نظرة لهـذا المريض أو ذاك ، فيستدير هذا ، أو يختفى ذاك تحت الغطاء

التفت الدكتور ذهني نحو المنتحب ، فسبقه سمور قائلا جرى إيه ياحاج سليمان ما كنت ساكت وفى أمان . فأجاب الحاج سليمان وقد أخذت الاوركسترا تعزف لحنا عاليا « فى أمان ازاى . دنا رحت خلاص تعالى يا دكتور شوف رجلى » فأسرع الدكتور اليه وكشف عن قدمه فلم يسترح الى اللون الازرق الذي أخذ يبدو على أطراف الاصابع ، وبدون أن يجيب بشيء عاد الي الخارج ورجع ومعه طبيب الامتياز ولم تمر ساعة حتى كان الحاج سليمان فى غرفة العمليات لبتر قدمه . . فى عهد القصة التى نذكرها لم يكن هناك وسيلة لغير ذلك

ومنع أولاده وأقاربه من زيارته ، إذ ارتفعت حرارته فى المساء ، وأسرع النبض وصار بين الحياة والموت أياما ، وكان الدكتور ذهنى مهتما بأمره ، وقد دفعـه للاعتناء به اشفاق لا يعرف له سببا ، وربما كان من بعض أسباب ذلك الاشفاق أنه خلصه من ورطة التشخيص فى ليلة باردة من ليالى غرفة الاستقبال

وأراد الله أن ينجو الحاج سليمان بأعجوبة فنجا . وأصبح ذات يوم وقد انصرفت عنه الحمي وأتي له سمور بفنجان البن ولـكنه لـكمة الشفاء قائلا « والله نفدت ياحاج سليمان دى حالة مايخلصش منها واحد فى الالف . تعرف الجدع اللي جنبك ده حصل له كده لـكن نفعه انه شاب ولا عندوش سكر » فالتفت الجدع الى جنبه واشترك فى الحديث قائلا « الحمد الله علي سلامتك ياحاج سليمان أحنا ربنا معانا اللى انكتب لنا عمر بعد الأتومبيلات والعمليات »

وأخذت الصداقة تمتد وتتشعب بين الحاج سليمان والى جنبه سيد أمين الدخاخنى بشارع

محمد على ، وكان ماكراً خبيثا وبوجهه أثر الجدرى . ضيق العينين ضيق الجبين ، واسع الفم كأن ما ضيقته الطبيعة من عينيه وجبينه عوضته اياه فى فمه

جرى الحوار التالى ذات يوم بين الحاج سليمان وبين الدخاخني

الدخاخنى ــ انت أخذت قدمك بعد ماقطعوها ولا سبتها عندهم

الحاج سليمان ــ الدكتور حفظها عنده فى السبرتو لأنه عمل العملية بنفسه وخليها تذكار

الدخاخنى ــ اجتهد لما تخرج تاخدها منه

الحاج سليمان ــ ليه

الدخاخنى ــ ليه تسيب حقوقك دى تأخذ بيها تعويض من اللى تسبب لك فى قطعها . . أنا حاعمل كدا . وقدمي محطوطه فى السبرتو عند أخويه

-٣-

شفى الحاج سليمان وخرج ، وأخذ قدمه المبتورة من الدكتور ذهنى الذى تنازل له عنها كارها لأنها تذكار لأول عملية بترها بنفسه . ولأنها حالة هامة ، حالة مريض بالسكر ، تعهده هو بنفسه حتى شفى بمعجزة

ومن المصادفات العجيبة ان خرج الحاج سليمان والدخاخنى فى يوم واحد ، وكان الاهل والاقارب فى انتظارهما عند الباب ، فاستقبلوهما بالزغاريد بالرغم من أن كلا منهما كان فاقدا قدمه وقد خرج من المستشفى على عكاز . ولكنهما خرجا أحياءاً على كل حال ولم يخرجا أمواتا ، كهؤلاء الذين ينوح عليهم أهلهم وذووهم عند البـاب ، ويلبسون لهم السواد ، وتضع نساؤهم المناديل الزرقاء حول أعناقهن . .

وعاد الحاج الى عمله فى المصلحة ، ولم ينس أن يقاضى الذين صدموه ، و « عين واحد محامى » وكسب القضية وأخذ تعويضا كبيرا ، اشترى منه منزلا كبيرا ، وتزوج بفتاة صغيرة السن وفتح دكان دخاخنى وضع فيه ابنه الاكبر ، وكان الدكان قريبا من دكان صديقه فى المستشفى سيد أمين وكانت حبال المودة متصلة ، فقد كسب كل منهما قضيته ، ولم ينس الحاج سيد أن ما أصابه من النعمة كان كله بسبب نصيحة سيد الدخاخنى فحمل اليه الهدايا من البلد ، وكان يرسل اليه الفراخ والبيض والسمن بين حين وآخر . فوجد سيد من الوفاء أن يدعو الحاج سليمان للغداء فقبل الدعوة

وترك الدخاخني الدكان لصبيه ، وذلك اكراما لصديقه الحاج الذى أخذ أجازة من المصلحة اكراما لصديقه سيد . وفى الطريق الى منزل صديقه ، اشترى الحاج قرطاساً من الفاكهة ، وكان يحمل مع الفاكهة شيئا مطويا فى جرنال

وبعد أن تناولا الغداء فى منزل سيد الجديد «بالمناصرة » وكان الاثاث نظيفا وجديدا والغداء جيدا وشهيا ، انتقلا الى غرفة الضيوف ؛ فضحك سيد قائلا والله كسبنا القضايا ، وخسرنا رجلينا لكن جتنا فلوس ، مش عالبال

قال الحاج « آى والله ! وعلى فكرة جبت لك الرجل تشيلها عندك يمكن تنفع لان امراتي الجديدة مش طايقاها ، وبتقول انها بتجيب العاريت»

أجاب سيد : بكل ممنونية ياحاج سليمان

– ٤ –

وبعد أيام كان الحاج عائدا ذات مساء الى منزله . فمر على قهوة المعلم حبيب وتناول تمميزة ومر على الخمارة المجاورة فشرب زبيبا . حتى ثقل رأسه وسار يترنح وبينما كان يعبر الطريق أقبلت سيارة مسرعة ، فرآه سائقها وأخذ ينبهه بصوت النفير بلا فائدة ، فصنع جهد الجبابرة حتى اوقف السيارة ، بعد ما القت الحاج سيد على ظهره ، ولكنها لم تصبه . ولكنها جرحت القدم المقطوعة فسالت دما ، فصار يصيح آه رجلى راحت آه رجلى ، منزل قائد السيارة وكان انكليزيا ، ومعه سيدة وكان المساء قد نزل ، فلم ير الانجليزى الا رجلا يصيح ورجلا مقطوعة ، يسيل منها الدم ، فارتاع واستعان بأحد المارة ، فنقلاه الى سيارته ، وذهب به الى مستشفى قريب وأخبره وأخبرهم بأنه مستعد لمصاريف العلاج كلها وترك عنوانه للحاج سليمان . لعله يكون فى حاجة الى شيء .
فبكى الحاج بكاءا مصطنعا وقال: الله يخليك ياخواجه

كان صديقنا الدكتور ذهني مدعوا الى مرقص فى عيد رأس السنة . فتعرف فى ذلك المرقص الي المستر مري الكاتب الروائي الانجليزي والى زوجته الحسناء . وقبل دعوتهما الى الشاى فى فندق سميراميس

وفى عصر يوم لاينساه ذهني ومرى والحاج سليمان جلس وزوجته ينتظران صديقهما ليتناول الشاى معهما فى شرفة الفندق . فجاء الجرسون وأخبر المستر مرى أن رجلا عجوزا يمشى على عكاز ويحمل البطاقة منه يطلب مقابلته . فذكر مرى الحاج سليمان الذى صدمه بأتومبيله ذات مساء

وأدخله المستشفى فأمر أن يؤذن له فجاء الحاج سليمان « يحجل » وفى يده البطاقة ومع البطاقه شيء ملفوف فى ورقة . وقال بالانكليزية « سليمان نوجود وانت هندرد جنيه » وأبدى القدم المقطوعة وصار يتأملها بأسف ويبكى . فحار المستر مرى فى ذلك . وحارت زوجته ولم يكونا من الاغنياء ثم انهما لا يحبان أن تمضى المسألة الى القضاء . وبينما هما فى تلك الحيرة اذ أقبل الدكتور ذهنى فشعرا بالفرح لقدومه

ولما استوى فى مجلسه قص عليه مرى القصة . فالتفت ذهنى الى الحاج سليمان (وقد عرفه الحاج) وذكر انه رأى وجها كهذا ولكن أين . والواقع أن الحاج سليمان كان قد تغير كثيرا فقد بدلته النعمة واليسر والغذاء الجيد . وازدادت لحيته طولا ووقارا . ثم انه صار يلبس نظارة . زيادة فى الوجاهة والاستقراطية . فقال للحاج ارني القدم . فأعطاه إياها . قال أرنى رجلك . فمدها

فأخذ ذهني يضحك ويضحك ملء قلبه والتفت الى صديقه وزوجته قائلا اضحكا معى ان التى فى الزجاجة قدم يمنى . والتى يمدها الحاج قدم يسرى ثم التفت الى الحاج وقد ذكر فجأة كل شيء : لعلها رجل جارك الدخاخنى يا حاج سيد ...

فأطرق الحاج خجلا لأنها حقيقة قدم الدخاخنى فقد ذهب الى منزل سيد ليستعيد الزجاجة التى أودعها عنده فلم يجده . وانما وجد أخاه الاصغر الذي أعطاه زجاجة فيها قدم الدخاخنى خيبة الله على أخيه ...



ابن ميمون ومغزى حياته لنا

للمستشرقة كاترين هنرى

ولد بن ميمون سنة ١١٣٥ م فى قرطبة عاصمة الاندلس . وتلقى علومه على أيدى أعظم الاساتذة المسلمين خبرة ودراية ومنهم ابن رشد الفيلسوف الشهير . وكان هو نفسه يهوديا ، ومن العلماء الذين تحدروا من أعرق الاسر اليهودية فى بلاد الاندلس وقام بجولات كثيرة فى البلدان الأجنبية فزار جنوبى فرنسا وفاس والقاهرة وبغداد والقدس واكتسب من جراء ذلك خبرة ، وسعة اطلاع اخصبت بهما كنوز العلم التى احتواها صدره . ثم غادر اسبانيا على أثر نزاع بينه وبين قبائل الموارده « وهم الغزاة الذين فتحوا جنوبى الأندلس سنة ١١٤٥ » ولم يكونوا على شىء من التسامح مع المنشقين عنهم أو المخالفين لهم فى الرأي

ومنى فى أخريات حياته بخسارة فادحة فى فقد اخيه « داود » . وكان يقوم الاخوان معاً بتجارة رابحة فى الجواهر ، فغرق داود فى المحيط الهندى ، وخسر بن ميمون ثروته فاضطر الى أن يكسب عيشه بمزاولة مهنة الطب التى حذقها ، وبلغت شهرته مسامع السلطان صلاح الدين فعينه طبيبه الخاص . وكان ريتشارد الأول ملك انكلترا يومئذ فى عسقلان فكتب إلى ابن ميمون وعرض عليه مثل هذه الوظيفة فى البلاط الانكليزي فرفض هذا العرض بسبب ولائه وتعلقه بصلاح الدين

وقضى ابن ميمون الشطر الأخير من حياته فى مدينة القاهرة . وقد توفى أبوه عقب وصوله اليها فانتابه الحزن والمرض بسبب هذه الفجيعة ، واليك اقتباساً من رسالة بعث بها من القاهرة تلقى وميضاً من النور على حياته فى هذه المدينة العظيمة :

« . . ان واجباتى نحو السلطان ثقيلة مضنية . فأنا مضطر أن أزوره كل يوم فى الصباح الباكر وحين يتوعك مزاجه أو مزاج أحد أبنائه لا أجرؤ على مغادرة القاهرة بل ابقى فى القصر الشطر الأكبر من اليوم . . ولا أعود إلى مصر « الفسطاط » إلا فى العصارى بعد أن أكون قد بلغت حداً من الجوع والاعياء ، وهناك أجد أبهاء دارى مكتظة بالناس ، من يهود وأمم ، وخاصة الشعب وعامته — جمهور خليط من البشر يترقب عودتى . فأترجل عن دابتى وأغسل يدي ، وأتوسل الى زبائنى أن يستمهلونى ريثما أتناول شيئاً من الطعام ، وهذه هى الوجبة الواحدة أصيبها فى أربع وعشرين ساعة . . وإذا ما جن الليل يكون الاعياء قد أخذ منى كل مأخذ حتى لا أستطيع الكلام

وفى يوم السبت تجيء إلى الجماعة كلها فأعلم الشعب . . ونتذاكر معاً . . »

وابن ميمون هذا مثل بارز فى حياته وعمله على تبادل المعرفة والعلم بين الأجناس الثلاثة — المسلمين واليهود والأوربيين . وهذا التبادل ثمرة من ثمار العصر الذهبى للعرب فى الأندلس . وقد عاش العرب والمسيحيون واليهود فى ذلك العصر بمدينتى غرناطه وطليطلة وغيرهما من المدائن فى نصفة ومساواة وتسامح لم تألفها تلك العصور الوسطى . ولم يجد التاريخ بحقبة نشط فيها التبادل بين الحضارات الثلاث فى أوربا وحوض البحر الأبيض المتوسط كتلك الحقبة التى عاش فيها ابن ميمون وبفضل هذه العلاقات السعيدة تضامن الأجناس الثلاثة فاكتشفوا مسالك من الحق جديدة ، وبلغوا من الرقى فى العلوم والافكار درجة كان يتعذر على جنس واحد بمفرده أن يبلغها

وقد امتدت حياة ابن رشد وابن ميمون إلى النصف الاخير من القرن الثانى عشر فكانا معاصرين للمترجمين المتقدمين الى اللغة اللاتينية الذين قدموا إلى الأندلس . وفضلا عن ذلك فقد تقدما مباشرة تلك الفترة التى تصادم فيها الفكر العربى بالفكر اللاتينى . . « وذاعت مؤلفات ابن ميمون الطبية والفلسفية ليس فقط بين الشعوب الناطقة بالضاد ، بل علا شأنها ايضاً بين الشعوب اللاتينية وبين اليهود أنفسهم . فأثر على الاجناس الثلاثة أيما تأثير »

ونظراً للجهود الحاضرة بين النعرة التى يصح ان ندعوها بالافراط والمغالاة فى القومية ، والتى ترمى فعلا الى ابعاد كل المؤثرات الخارجية عن الأمة — يليق بنا خيال الجهود التى تبذل فى هذا العصر للتخفيف من هذه النعرة ، أن نقتبس فذلكة عن كتاب صنفه عالم من فطاحل علماء الانكليز هو رئيس الاساقفة وليم تمبل . ونرجو أن نبين بعد ذلك ، عن طريق التمثيل من شواهد عصر حضارة العرب فى بلاد الاندلس ، كيف تخصب الشعوب بفضل تبادل العلوم والمعارف وتناوب المؤثرات المختلفة . وسوف نري على نقيض ذلك تماما أن كل أمة تعيش فى كنفها مكتفية بذاتها مقصورة على نفسها ، لا تلبث أن تجف وتفتقر حيويتها إلى دم الحياة

وهذا ما يقوله رئيس الأساقفة تمبل . .

إن فى تنوع الشعوب كل الخير . والوطنية العالمية ، غير القومية ، التى تحط من شأن المزايا والخواص القومية ، تقضى على كثير من عناصر اختباراتنا القيمة . غير أننا نستطيع أن نطرب ونفرح حيال مميزات بعضنا البعض ، عوضاً عن أن نمجها ونحتقرها . فالمانيا فقط هى التى استطاعت أن تنجب للعالم فيلسوفها « جوته » وروسيا وحدها استطاعت أن تبرز للملأ رجلها « دستوفسكى » وانكلترا وحدها أنجبت شاعرها « برونينج » . وتستطيع كل أمة من هذه الأمم أن تطرب وتبتهج ازاء النتاج الصالح الذى أخرجته الشعوب الاخرى . وعلينا أن نسمو فوق الموقف البليد الذى نختار

فيه بين الوحدة والجفاء ، بين الاتحاد والتنافر ، ونسعى فى الحالين على خلق جو نستمتع فيه بالتناسق والوفاق »

* * *

هب أننا نصور لافكارنا مصير شاب مسيحى من فرنسا أو انكلترا يسوقه العطش الى العلم لأن يرحل إلى الأندلس فى القرن العاشر أو الحادي عشر ، ليتزود بعلوم حضارة العرب فى ذلك الزمن وقد بلغ مسمع ذلك الشاب وهو فى بلاده الشمالية أروع الاقاصيص عن حكمة العرب ، فيرحل إلى قرطبة ، إلى الجامعة الشهيرة التى هى مركز الحياة الفكرية والعقلية فى أوربا ـ هو لا يخشى أن تعوقه عقيدته أو جنسه عن تحصيل العلوم والمعارف لأن أبواب الجامعة مفتوحة على مصراعيها لكل طالب علم من كل جنس . فيعطى هناك فرصاً على قدم المساواة مع المسلمين واليهود . وزملاؤه الطلبة يحصون بالالوف . وأساتذته من أشهر وأنبغ علماء العصر . فان كان طالب طب لا يعطى اجازته الا بعد نجاحه فى امتحان شاق طويل الادوار . وان كان طالب فلسفة فسيتلقى ويلقن العلم على أيدى أساتذة كانوا فى ذلك العصر ، وما برحوا حتى اليوم ، أصحاب الأثر العميق والنفوذ القوى على الفكر الأوربى

وسيجد صاحبنا الطالب ما يشغل عقله فى نواح شتى خارج فصول الدراسة . فالريف المحيط بالمدن خصيب إلى أبعد حدود الخصب ، ومجالس الخلفاء تعج بالنعمة والثراء إلى أبعد حدود الوصف وفى النهار يرى الطرقات مكتظة بالجماهير الرافلة فى الثياب الفاخرة ، وفى الليل تقع نواظره على مصابيح فى زجاج ملون مدلاة من شرفات المنازل ، وفى النهر تسبح الزوارق وقد علتها المصابيح وزانتها أكاليل الزهور . وكان مستطاعا له فى المدرسة أن يفحص عن أية خريطة جغرافية أو آلة علمية معروفة فى ذلك العصر . ويسر طلبة الجامعات فى هذا العصر ، الذين يقضون شطراً كبيراً من دراساتهم فى مكاتب منظمة حافلة بصنوف المؤلفات ، أن يعلموا أن هذه التسهيلات والمزايا كانت متوافرة لدى اخوانهم فى بلاد الاندلس قبل ألف عام

« كانت رفوف المكاتب مفتوحة لكل طالب . وسهلت قوائم المؤلفات السبيل لدى كل باحث وازدان الكثير من المؤلفات بمسحة من جمال النسخ رائعة وجلد الثمين منها فى غلافات من الجلد الموشى بنقوش بارزة ، ومن الخشب الفياح الرائحة ... وحوت تلك المكاتب فى جنباتها كل ذخائر الماضى وأسراره وكل مكتشفات الحاضر وعلومه »

وعلى مر الزمن عاد كثيرون ممن وفدوا من البلدان المسيحية إلى أوطانهم يحملون معهم الثروات العقلية والفكرية التى احتازوها فى طليطلة وفى قرطبة وفى غيرهما من المدائن . ويروى

لنا التاريخ أن ذلك النفر من العلماء قد نقل من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية فى عالم الطب وحده أربع مائة كتاب . وانشئت المدارس فى إيطاليا وفى فرنسا فانتشرت بذلك العلوم والمعارف . وفى الوقت نفسه رحل سكان المدائن الأندلسية أنفسهم إلى مدن أوربا فاذاعوا الأفكار العربية ، والافكار الاغريقية القديمة التى كانت محفوظة فى اللغة العربية والمؤلفات العربية . وكان غالبية أولئك الرحل من اليهود ، وقد كانوا الاداة الرئيسية لنقل الحضارة العربية ووضعها تحت امرة أوربا وذلك لاسباب عدة ، فان اليهود لم يكونوا رحالة ناشطين وحسب ، بل كانوا جنساً مبعثراً فى الشتات لهم فى كل بلد جماعة رحبت بالوافدين اليها من بنى جنسهم . وقد كان اليهود بسبب الظروف الخاصة التى أحاطت بهم عقب السبي والشتات على معرفة بكثير من اللغات ، فكانوا لذلك اداة صالحة للتفاهم بين جنس وآخر . وفى الاندلس لم يتكلموا العربية فقط بل قرأها كثير منهم وكتبها فى سهولة وطلاقة وكان بين اليهود والعرب فى الاندلس علاقة سعيدة ، وتعاون وثيق فى العلم والتعلم

«وكان الحبر اليهودى «حسداي بن شيروط» من الوزراء البارزين فى خلافة عبدالرحمن الثالث واستخدم الحاكم الثانى كثيرين منهم فى أهم مفوضياته فى البلدان الخارجية . وأمر هشام الثانى بترجمة التامود اليهودي الى اللغة العربية . . وكان لرجال المجمع اليهودى مكانة الكرامة والتوقير فى نظر العرب المثقفين . . وقد شهدت أوائل القرن العاشر خراب اكاديميات بلاد فارس الذائعة الصيت تلك المعاهد العلمية التى نادى أفرادها بالآراء والتعاليم العصرية المستحدثة فاصطدموا بالتعصب الشرقى وجموده . فخلت جميعها وهرب العلماء ، ابقاء على حياتهم ، فى النفى والتشريد ، وقد حمل القرصان الافريقيون بعض مشاهيرهم ، ومنهم الحبر اليهودى موسى ، وعرضوهم للبيع فى أسواق الرقيق بمدينة قرطبة . وكان ذلك الحبر على جانب عظيم من ذيوع الصيت فلما ازيح القناع عن شخصيته وعرف أمره انتخبوه أميراً على الأمة الحصبانية العبرانية »

* * *

ولنقتف الآن خطى طالب من أبناء الشمال يذهب الى طليطلة عوضاً عن قرطبة ، وذلك قبل ٨٠٠ سنة أى حوالى القرن الثانى عشر . وهناك أيضاً نرى التبادل والتعاون المشترك بين الثقافات المسيحية والاسلامية واليهودية ، فى ظروف وأوضاع مختلفة . فلئن كانت طليطلة وقد عادت فى سنة ١٠٨٥ إلى ايدى المسيحيين ، ولئن كان الحكام العرب قد انسحبوا الى الجنوب بعد أن خلفوا وراءهم تراثاً هائلا من العلم والعرفان ، فالمدينة ظلت حافلة بالكتب العربية ، ومكتظة بجيش غفير من السكان الذين يعرفون شيئاً من العربية واللاتينية . وكان فيها من سنة ١١٢٦ — ١١٥١ رئيس أساقفة يدعى ريموند الأول جمع حوله مدرسة من المترجمين الاوربيين ، وبين الكتب التى ترجمت بحوث فى الحساب والفلك والجبر ومؤلفات الغزالى والقرآن . وصاحبنا هذا الذى نقتفى خطاه يجيء إلى طليطلة مزوداً برسالة توصية من أحد عظماء بلاده إلى رجل من أحبار الكنيسة المسيحية

وهذا الاخير لا يتكلم الا اللاتينية فلا يقدر أن يعين العالم الوافد اليه على درس الفلسفة العربية . والعرب قد رحلوا عن المدينة وبقي فيها اليهود كحفظة على هذا الميراث الثمين الذى خلفته وراءها العلوم والثقافة العربية فماذا يفعل صاحبنا العالم الأوربي ؟ يضطر إلى التعرف باحد اليهود ويجتمع معه مرة بعد أخرى، فى غرفة صغيرة فى الحي اليهودي ، وذلك لنقل المؤلفات العلمية أو الفلسفية من اللغة العربية إلى اللاتينية ، واليهودي نفسه لا يعرف اللاتينية ، وصاحبنا الأوربي لا يعرف العربية ، فكان عليهما أن يستعينا بشخص ثالث مسيحي من الأندلس يعرف قليلا من العربية واللاتينية ويتوسط بين المترجمين ليفهما الواحد الآخر فى شيء من التوفيق . ويقال أن عالماً انكليزيا مشهوراً يدعى « اديلارد اوف باث » فاز بهذه الطريقة ، فترجم جداول العرب الفلكية للخوارزمى حوالى سنة ١١٢٦ — وكذا « مقدمة الخوارزمى فى علم الفلك » ويقول أحد علماء الامريكان عن هذا التعاون المشترك ما يأتى : —

« كان النشاط العلمى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر بالغاً حده فى الرياضيات والفلك والطب والتاريخ الطبيعى الخ ، وكان ذلك النشاط مصطبغاً بصبغة دولية ظاهرة فلم يكن تقدم الجنس البشرى معزوا إلى هذه الأمة أو تلك ، ولا إلى هذا الجنس أو ذاك ، ولا إلى هذه الطائفة أو تلك . بل كان منشأوه الجهود المشتركة . وكانت غالبية قادة الفكر فى القرن الثانى عشر من المسلمين ، ولكنهم من المسلمين الوافدين من بلدان كثيرة . فلما خرجت الزعامة من أيديهم تناولها المسيحيون من فرنسيين وايطاليين واسبان وانكليز . وفى الوقت نفسه كان لليهود فضل كبير فى اخراج أنضج ثمار البحوث العلمية »

* * *

من ابرز شخصيات ذلك العصر بتروس الفونس ، وقد ولد سنة ١٠٦٢ من أسرة يهودية واتقن اللغة العربية أيما اتقان . ثم اعتنق الديانة المسيحية وتعمد سنة ١١٠٦ فى مدينة أراغون . وكان من باكورة آثاره كتاب قيم فى علم الفلك . ثم صنف بعد اعتناقه المسيحية كتاباً عنوانه « مدرسة تدريب الكهنة » ضمنه النصائح للدعاة والمبشرين وقصصاً وجيزة للاستعانة بها كمثائل فى العظات وكان قد جمع هذه الأقاصيص من مصادر شرقية ، ثم نقل كتابه إلى اللغتين الفرنسية والالمانية فكان اداة صالحة لنقل الاقاصيص الشرقية إلى بلاد الغرب . ونهض كاكستون الناشر الانكليزى الشهير وادمج بعض هذه الاقاصيص فى كتاب آخر طبعه سنة ١٤٨٣ — ثم جمعت مرة أخرى فى مجموعة القرون الوسطى أطلق عليها اسم Gesta Romanorum. طبعت سنة ١٥١٠ ، وقيل ان جانسر وشكسبير انتفعا بها فى مؤلفاتهما . وبهذه الطريقة أدمجت الأقصوصة الشرقية فى الأدب الانكليزى وفى مقدمة ذوي النفوذ والسلطان فى ذلك العصر نذكر الفيلسوف العربى « ابن رشد »

، ١١٢٦ — ١١٩٥) وهو مسلم ولد فى مدينة قرطبة وامتاز بقوة العقل ، وشدة الذكاء ، والجلد على العمل والانكباب على الدرس ، حتى لقد قيل أنه لم يمض عليه فى حياته إلا ليلتان لم ينصرف فيهما إلى الدرس والبحث ـ وهما ليلة زواجه ، وليلة وفاة أبيه . وقد شغل منصب قاضى قرطبة ردحاً من الزمن ، ودرس الطب ومارسه ، وأخرج عدداً هائلا من المؤلفات فى الدين والفقه والفلسفة والطب . وأهرق زبد عقله وفكره فى « اخراج سلسلة من التفاسير » المطولة لمؤلفات ارسطوطاليس الفيلسوف الاغريقى الذى شغف به ومال اليه أكثر من سائر الناس . . ومن الحقائق البارزة أنه لم ينل أحد من قوة الاثر وسعة النفوذ على الفكر اليهودى فى القرون الوسطى المتأخرة ما ناله ابن رشد وها هنا نري أيضاً العملية تتكرر . فتنتقل الثروة العقلية من جنس إلى آخر . ويحلو لنا أن نصور لانفسنا الطلبة الاوربيين ينصتون الى محاضرات ابن رشد ، وقيل لنا أن علماء اليهود أحبوه وأكبروا قدره فكثرت النسخ الخطية العبرية من مؤلفاته حتى لم يفقها فى العدد مؤلفات أخرى سوى الاسفار الخمسة . وقد ترجمت تلك المخطوطات العبرية إلى اللغة اللاتينية ، وقام بترجمتها المترجمون المسيحيون واليهود ، كل اثنين منهم بالاشتراك معاً

ولكن بن رشد هذا قضى الشطر الاخير من حياته فى ذلة وانكسار وسجن . وذلك لان المحافظين من المسلمين ثاروا ضده بسبب آرائه العقلية وانتقاداته اللاذعة ، وتألبوا معاً على اسقاطه فاقصوه عن وظيفته كطبيب البلاط ، وحرموه من وظيفته القضائية . وصادروا كل أملاكه . فاضطر أن يهرب من وجوههم ويلجأ إلى افريقيا . حيث عرض نفسه فى شيخوخته وعجزه . إلى امتهان الدهماء وبذاءتهم فكانوا يبصقون على وجهه وهو جالس فى عجز وضعف أمام باب المسجد فى مدينة فاس . .

وإذا حاولنا أن نفهم سر الأمر ، عرفنا أن علوم العرب فى الأندلس كانت مقصورة على طبقة معينة تقدموا مواطنيهم بخطى واسعة واستبقوهم إلى الأمام وكان لاولئك العلماء المتقدمين فريقان من الاعداء الالداء . وهما جمهرة الشعب والحزب المحافظ المتطرف وقد تآلف الفريقان على مقاومة كل جديد من الآراء . ومعاداة كل من تحدثه نفسه بالشك فى صحة عقائدهم الدينية . ونحن لا يفوتنا القول أنه لزام على كل رجل معتصم بدينه أن يغار عليه ويكون موالياً لله . محباً له قبل كل شيء سواه إنما يجب أن نذكر أن الافكار والعلوم الدينية لم تفقد شيئاً . بل ربحت كثيراً بفضل الانتقادات المخلصة ، وآراء العلماء المنزهة عن الاغراض فى سعيهم نحو الحق بعقولهم المتزنة المفكرة . فاضطهاد عالم من كبار العلماء الذين أنجبتهم البشرية لغير ماسبب سوى أن تعاليمه لا تتفق والعقائد الدينية المعاصرة ـ انما هو فى الحقيقة عمل مخجل مشين . وانتحار للهيئة البشرية التى تجنح اليه . ومن

الناحية الأخرى فان اضطهاد المعاند الصادق ، وخصيم الدين الذى يؤمن بصدق مايقول ، لاينفعه شيئاً . بل يزيد نفسه مرارة وحقداً . وحياته فقراً وجفافا . واليك من الاقوال مايثبت هذه الحقائق :

« لم يذكر التاريخ شعباً بلغ شأواً رفيعاً فى الحضارة . وكان من سياسته القمع المنظم للآراء الدينية وكبت الافكار الحرة فى هذا الميدان . لان التعصب الدينى من أخطر العقبات فى سبيل الرقى العقلى » . .

وأيضا « إن البحوث العلمية كالبحوث الفنية والدينية تماماً . لن يمكن حصرها فى حدود ضيقة . . بل ينبغى أن تكون حرة طليقه »

* * *

فى كثير من السجلات التاريخية تجد البيانات المفصلة عن العلماء والمترجمين من اليهود الاندلسيين وهى تنفث روح الحياة فى أولئك العلماء فترفعهم من مجرد أشباح تاريخية إلى شخصيات حية وليس شك أن تعشقهم للخط الجميل كان من عوامل توثيق الروابط بينهم وبين أصدقائهم العرب وتزايد روح العطف بين الفريقين :

« احس جميع اليهود بما فى الخط الجميل من سحر وتأثير . ولا سيما الذين عاشوا فى الاندلس وجنوبى فرنسا . وقد كتب يهودا بن طيبون إلى ولده يقول : حسن خطك . لان جمال الخط . وتفوق القلم والورق والحبر . من بواعث اعلاء قدر الكاتب » وانه لمثير لدهشتنا أن نعرف الطريقة التى تدرب بها الولد على الكتابة فى مدرسة ذاك الزمن . فان اللوح الاردواز كان شائعاً بين الطبقات الوضيعة كما هو الآن . وكان المعلم يكتب على اللوح سطوراً ويدفعها للطالب . فيأخذ فى تعلمها حتى يحفظها عن ظهر القلب ويجيد هجاءه الكلمات . ثم يمحوها المعلم بعد ذلك ويكتب له سطوراً غيرها . وقيل إن المفكر العظيم ابن ميمون تعلم بهذه الطريقة وهو ولد صغير

والذى نعلمه أن برنامج الدراسة العادية للولد اليهودى فى القرن الثانى عشر بالاندلس تضمن الكتاب المقدس . والتلمود . والشعر . ومنطق ارسطو . وعلاقة الفلسفة بالوحى . والحساب والفلك والعلوم الطبيعية . والفلسفة العقلية . ويقول ابرهام الذى نقلنا عنه شيئاً من قبل . وهو حجة فى موضوع كتابه عن الحياة اليهودية فى القرون الوسطى . ما يأتى

« ان اليهود فى اسبانيا وإيطاليا لم يحصروا أفقهم العقلى فى دائرة الدين . ولعله من الصواب أن نقول إنهم حسبوا الدين الهدف الذى ترمى اليه التربية والتعليم . ولكنهم اهتموا بموضوعات راسة الاخرى وكانت ضرورية فى نظرهم »

ونحن اذا تصفحنا صفحات التاريخ عن تلك الفترة من الزمن نراها لامعة باسماء المشاهير والعظماء

من المسلمين واليهود والمسيحيين . وأول ما يتبادر إلى ذهن القارىء ليس عظمة العرب . ولاعظمة المسيحيين الذين كانوا طلائع نهضة العلوم فى أوربا بل بالاحرى عدم تكامل فريق بدون الآخر ولعل أفضل ما كتب فى هذا الصدد ما قاله الأستاذ « سل » . «كان مسلمو الأندلس فلكيين مهرة ولكنهم مزجوا هذا العلم بدجل التنجيم . وقد هيأ لهم نشاطهم العقلى سبيلا لعمل التقديرات الفلكية العويصة الغامضة ـ وكانوا كيمائيين مهرة ، وبزوا فى علم النبات ، وتفوقوا فى العلوم الطبيعية ، ولكنهم خلقوا علم تحويل المعادن إلى ذهب ، وهو وهم صادف هوى الخيالات العربية أما علومهم الطبية فقد أخذوها بالاكثر عن اليهود الذين حذقوا هذه المهنة حتى كانت شبه احتكار فى أيديهم . وصار المسلمون أطباء نطاسيين ولكنهم أهملوا شأن الجراحة . وكان علماء المسلمين فى الاندلس أبعد شوطاً من علماء الفرنجة فى كثير من ميادين العلم . أما الفلسفة فقد أخذوها من المصدر الذى استقى عنه الخليفة المأمون فى بغداد ، اى من الأغريق . ودرس المسلمون فى الاندلس مؤلفات ارسطو واذاعوها فى بلدان غربى أوربا ، وكانوا قد أخذوا عنه قبل من علماء أوربا الشرقية وفى القرن الثالث عشر أخذت تتكاثر أعراض النشاط المسيحى وقوة الابتكار »

ويخيل الينا أن الأمة ـ أو الجنس ـ لا تكون فى أبهى مظاهرها وأقوى حياتها إلا حينما تنسى ذاتها فى عمل التجديد والاحياء لخير الآخرين . والعمل المجدد هو بلا شك دليل على المكانة العليا فى العظمة القومية . يضاف الى هذا أيضاً نسيان هذه العظمة وعدم التبجح بها . ونحن نعتقد أن قوى ابن رشد وابن ميمون وزملائهما قد استوعبت فى تجديد الافكار والحياة بحيث لم يكن لديهم متسع من الوقت للتفكير فى النعرات الجنسية . وأنه لمن السخف أن نجعل أمثال هؤلاء المفكرين والعلماء موضوعا للتفاخر القومى أو المباهاة الجنسية . وذلك لان الازدياد فى التواضع يصحبه دائماً تزايد فى المعرفة فى الفرد او الامة على حد سواء . أما الفرد الذى يميل إلى التفاخر والمباهاة فهو اما شاب محدث أو شخص مضمحل القوى . كذلك أيضاً الامة التى تجنح إلى التفاخر فهى إما محدثة فى بداية حياتها ، أو هرمة قد ولى مجدها

* * *

والجمال كلمة مرادفة لله ، والصلاح كلمة أخرى مرادفة له ، والحق كذلك . فهو عز وجل الجمال والصلاح والحق . فالعظماء الذين تحدثنا عنهم فى هذا المقال ، وهم من جنسيات مختلفة تربطهم روبط من الوداد وثيقة ، انما كانوا ـ دروا أو لم يدروا ـ يخدمون البشرية لبلوغ قصدها الاعظم ألا وهو اكتشاف الحق . وبعبارة أخرى معرفة الله تدريجاً . هذا هو الهدف الذي لا نفوز به الا عن طريق الجهود المشتركة . ليس من جنس واحد . بل من سائر الاجناس البشرية قاطبة

« الشرق والغرب »

الباقي على قيد الحياة

للقصصي الفرنسي بلزاك

ترجمة الاستاذ حسن محمد حبشي

حين دقت ساعة مدينة مندا الصغيرة مؤذنة بانتصاف الليل ، كان ضابط فرنسي شاب متكئا على حافة سياج طويل يحيط بالقلعة غارقا في لجة من التفكير العميق ، وذلك أمر لم يكن هناك ظروف تبرره بالنسبة لما يحيط به من مظاهر حربية واستحكامات عسكرية ، ولكنه كان منصرفا عن كل ما هو فيه من وقت وليل ومكان الى التفكير القوى

وكانت سماء اسبانيا الجميلة تمتد في زرقة صافية فوق رأسه ، وقد رصفت بالنجوم اللألاءة ، وضوء القمر الساطع ينير هذا الوادي الجميل الممتد تحت قدميه ، وهو يشرف على مدينة مندا ويعلوها بمائة قدم ، وكأن الطبيعة قدهيأتها هكذا لتكون في مأمن من رياح الشمال الغربية الآتية من هذه الصخرة الكبيرة التي تقوم عليها القلعة ، واذا ادار الضابط رأسه أبصر البحر يكتنف البلدة بامواهه الفضية وكأنه قد استحال الى قطعة من الجين الذائب ، وكأن القلعة كوكب أوجوهرضوءوهاج

وكان وهو في مكانه ، يسمع صدى رنات الموسيقى ، وعربدة الضباط في الحلقة الراقصة ، يكرعون بنت الحان وقد أثملتهم نشوتها ، فراحوايضحجون ويصخبون ، وقد اختلط ذلك بهمهمة الامواج الآتية من بعد ، وكأن نسيم البحر والليل قد جدد نشاطه المنهوك ، زد على ذلك ماحوله من حدائق فيحاء ، وزهور عطرية الشذا ، نفاحة الاريج ، فكأنه مغموس في بحر من العطر الذكى

وكانت قلعة مندا في حوزة شريف أسباني ، اتخذها وأسرته دار اقامة ، يشرف منها على البلدة ، وتصد عادية الغريب الاجنبي ، وكانت ابنته الكبرى كلارا الجميلة ترمق الضابط الفرنسي الشاب بنظرات مبهمة ، وان كانت تنم عن حزن عميق

وكانت كلارا هذه فتاة رائعة الحسن ، فوقع جمالها من قلب الضابط الفرنسي موقع الماء من ذى الغلة الصادى ، فوقف يفكر في هذا الجمال . وبالرغم من أن ثروة أبيها كانت طائلة ، وموزعة بينها وبين أخوتها الثلاثة واختيها ، فقد رأى فكتور مارشاند « الضابط » أن فيها الكفاية لأن تكون الدوطة كبيرة ، ولكن كيف يتسنى له أن يخطب كلارا ابنة الشريف الاسباني ، وهو ابن

تاجر صغير فى السن ، أضف الى ذلك ما بين الاسبان والفرنسيين من احن

وكان الجنرال (ج) قد علم من مصدر سرى أن المركيز يحاول أن يوقد مشعل الثورة لنصرة فردناند السابع ، ولذا أرسل مرشاند ليعسكر فى مدينة مندا حتى يكون على علم تام بما ينتويه الثوار ولكى يخمد كل حركة يقومون بها ضد الفرنسيين

وفى ذلك الوقت وصلت اشارة سرية الى القائد العام بان المركيز الاسبانى يتصل سرا بالادارة الانكليزية فى لندن ، وليس من البعيد أن يرسل الانكليز مددا ، ومما حير لب فكتور مارشاند أن المركيز قد استقبله وعائلته استقبالا لا يدل الا على منتهى الهدوء والطمأنينة ، مما لا يجعل للشك غبارا يثور فى النفس ، وحار فكتور ، ولم يدر كيف يوفق بين هذا الهدوء المسدل طنبه على كل ماحوله والذى يتجلى بوضوح فى المركيز وأعماله التى لا تدل على نية موضوعه ، أو خطة مدبرة يراد بها الثورة ضد الغاصبين لارضه

ولم يدر كيف يوفق بين هذا وبين اشارة الجنرال من وجود مفاوضات سرية ليست من مصلحة الفرنسيين ، ولكن سرعان ما تلاشت هذه الخواطر من ذاكرته حينما مد بصره للامام فابصر عدة مصابيح مضاءة فى المدينة مع أنه أصدر أمره بان تطفأ الانوار فيها فى ساعة معينة من الليل ، بالرغم من أن الليلة كانت ليلة عيد ميلاد القديس سنت جون ، ولم يسمح مارشاند أن توقد الانوار الا فى القصر فقط

ومما أحال الشك يقينا عنده ، وأن هناك يدا تعمل فى الخفاء أن رأى ساريات عدة مراكب وسط مياه البحر ، وتحت أضواء القمر الفضية ، وهى تقبل المياه ، وبينما هو سابح فى تيار التفكير العميق اذا به يسمع وقع أقدام خلفه ، فالتفت صوبها ، ولما تبين صاحبها عرف فيه أحد رجاله يلهث وحين رآه قال له

— أهذا أنت ياسيدى الضابط

— نعم هو أنا . . ماذا تريد؟

— ان هؤلاء الوحوش يزحفون زحف الديدان

— ثم ماذا؟

لقد رأيت رجلا يخرج من القصر وفى يده مصباح مضاء ، وهذا مما أثار الشك فى نفسى ، وبعثنى على أن اقتفى أثره ، وأتتبع مسيره ، وأظل قريبا منه جهد ما أمكننى . أجل قد يكون مسيحيا محافظا على التقاليد

— أسرع وأوجز !

— غير أن الحالة التي هو فيها ومخالفة أمرك ، كل ذلك مما يجعل الهلك يحيك في نفسي وثم أمر آخر ياسيدي الضابط ، ذلك أني اكتشفت على قيد خطوات منك عرمة من الحطب والوقود

ولم يكد الجندي يصل الى هذا الحد من الكلام حتى دوت في المكان صرخة صدعت السكون العميق ، وانفجرت قنبلة أودت شظية منها بالجندي فخر مجندلا لساعته وسط لجة من الدماء المهراقة واندلع لسان من اللهب على بعد عشر خطوات فقط ، من الضابط الذي سقط في يده ، ولم يدر كيف يفعل ، بل ظل في مكانه مبهوتا وقد ألجمه الحادث بتصاريفه الشاذه ، وحادثته الغريبة الفجائية وتبين له أن في الامر دسيسة ، وأن الثوار قد تأهبوا للفتك بالاعداء ، فاضطرب في مكانه أذ لم يكن معه حسامه ، وهاهو ذا يرى رجاله وقد ترددوا في ساحة المدينة . وصمتت الموسيقي وتلاشت ضحكات الضباط ، ومر على مخيلته ماسيلاقيه — اذا هو ظل حيا — من محاكمة واهانة فلم يجد أمامه من وسيلة للنجاة الا أن يلقي بنفسه من هذا العلو الشاهق الى سفح الوادي حيث يتحطم جسمه على الصخور الجاثمة هناك

واذا كان على أهبة تنفيذ ما اعتزم ، أحس يدا أعاقته عما هو قادم عليه ، فاشرأب الى صاحبها فاذا بها كلارا تهيب به أن اسرع فان اخوتي على آثاري قادمون للفتك بك ، وامض الى الصخرة القائمة عند سفح التل ، وستجد حصان أخي جوانيتو فامتطه ولا تتريث لحظة ، والا فقدت شبابك ، وصافح الحسام رقبتك

فحدق الفتى فيها دقيقة ، وقد فاضت نفسه بالدهشة ، ولكنه تنبه أخيرا ، اذ ثارت في نفسه غريزة حب الحياة ، تلك الغريزة التي تتمثل في الجميع على السواء ، في حيوان أو انسان ، وحمل اليه الريح صدى صوت . كلارا تهيب باخوته الا يتريثوا في اقتفاء أثره ، كما سمع وقع حوافر دوابهم تسابق الريح وهم على صهواتها يرسلون عليه وابلا من الرصاص الذي كان يمر بجانب رأسه ، وبعد بضع ساعات كان في حضرة الجنرال ، وكان في ثلة من اخوانه يتناولون طعامهم فارتمي أمامه قائلا

— مولاي ان حياتي بين يديك افعل بها ماتشاء !

ثم أخذ يقص علي الجنرال قصته فاذا الجميع ينصتون اليه ، وكأن على رؤوسهم الطير ، وقد علت وجوههم غبرة ، ترهقها قترة وألجم الخير أفواههم ، وجعلهم آذانا فحسب ، فلما أتمها قال له القائد العام :

— ياهذا انى أراك سيء الحظ أكثر من أن تكون مذنبا ، لا تثريب عليك وانى لابرىء ساحتك الا اذا رأى المرشال غير هذا

— واذا سمع الامبراطور بالحادثة ؟

— فسيكون القتل نصيبك ، ولكن دعنا الآن من هذا وهيا ندبر خطة ننتقم بها من هؤلاء الاوغاد ، أوشاب الانسانية ، لابد أن يكون الثأر شديدا حتى نخمد فى نفوسهم الوحشية والدناءة

* * *

وفى ساعة من الزمن هدت فرقة من الجند رحالها على رأسهم الجنرال بصحبة الضابط فكتور واذ علم الجنود بمصير زملائهم الذين أخذوا على غرة ثارت فى عروقهم دماء الانتقام واستحالوا شعلة تتأجج لأحرق الاسبان واقسموا أن ينتقموا لاخوانهم الذين ترددوا فى الميدان كالنعاج المذبوحة وان يكون الانتقام فظيعا وقد دفعتهم هذه العاطفة لأن يقطعوا المسافة بين مدينة مندا وبين مركز القيادة العليا فى مدة قليلة

ورأى الاسبان أنفسهم محاصرين وعلموا أن الجنرال لا يتردد لحظة فى الفتك باهل المدينة لاتأخذه فى ذلك شفقة ولا رحمة فبعثوا اليه رسل المهادنة ورضى هو أن يسلم كل من فى القصر أنفسهم اليه من أصغر الخدم الى المركيز نفسه واتخذ القصر مركزا للقيادة العليا وأمر بكل فرد من أفراد الاسرة الحاكمة وخدمها بان يقيد . ونكل بالثوار أشد تنكيل ولم يرحم رجلا ولا امرأة ولا طفلا بل ثارت فيه غريزة الوحشية وبينما هو فى مجلس من رجاله اذ أقبل عليه فكتور مارشاند وقال له :

— أسألك يامولاى أن تجيب لى طلبا ، هو أن المركيز يرجوك أن تفرق بين الاشراف وبين العامة ، وذلك بان تطيح رقابهم بيد الجلاد لا بالمشنقة ، وأن تفك قيودهم التى كبلوا بها ولن يحاولوا الهرب ، وذلك عهد قد قطعوه على أنفسهم ، وأنه ليتخلى لك عن جميع أملاكه وأمواله اذا عفوت عن أحد أبنائه الشبان ، ووهبته الحياة ! فما قولك يامولاى ؟

— إن أمواله قد أصبحت ملكا للملك جوزيف ، ولكنى سأهبه ماطلب ، وان كنت أعرف علة رجائه فى أن يبقى اسم الاسرة ببقاء فرد منها ، ولا يندثر ، سأهب ذلك لمن يرضى منهم أن يكون جلادهم ، ويطيح برقابهم ، والآن لاتذكر لى شيئا عنهم البتة ! !

* * *

اجتمع الضباط فى الحجرة التالية يتناولون غداءهم وكانوا فى نهم شديد أثرما كابدوه من نصب وتعب ، فاقبلوا على الطعام كالوحوش الضارية ، قد انشبت مخالبها فى فريسة دسمة بعد طول سغب. وتفقدوا الضابط فكتور مارشاند فلم يجدوه بينهم ، ذلك لانه مضى الى الحجرة التى فيها عائلة المركيز ، وآلمه أن يرى سادة الامس ومن كلل الغار هامهم مقيدين كالعبيد ، قد ارتسمت على وجوههم دلائل الاسى الشديد واللوعة المرة ، وأي لوعة أشد على النفس من أن ترى المرء عبدا حقيراً يتحكم فيه وهو السيد المطاع !

وسرت رعشة فى جسد الضابط حين فكر فى هذه الرءوس الجميلة ، وأنها ستهوى على أقدام الجلاد ، مصبوغة بالدماء وكأنما هم كانوا يفكرون فى هذا الامر نفسه ، فقد بعثروا حولهم تنهدات الالم والحزن التى ملأت جو الغرفة ، وإذ أبصروا فكتور يدخل حجرتهم اشرأبت اليه أعناقهم طمعا فى أن يكون حاملا اليهم بشرى العفو عنهم ، فامر الجند أن يفكوا قيود السادة ومضى هو بنفسه يحل وثاق كلارا فقابلته على صنيعه هذا بابتسامة اغتصبتها اغتصابا ، ومس فى رفق ذراعها البضة الناعمة ، وأعجبته خصلات شعرها الفاحم ، المتهدل على جبينها الوضاء ، وفتنة قدها الممشوق الجميل ، وخصرها الاهيف ، فسألته هل نجح فى مهمته فهمهم همهمة حزينة مضطربة ، وجال ببصره فى وجهها ووجه إخوتها الثلاثة وكان « جوانيتو » أكبر الابناء سنا ، يبلغ من العمر الثلاثين عاما وأخوه « فيليب » عشرين ربيعا وكان «عمانويل» يبلغ ثمانية أعوام ، ذا أنف رومانى وطلعة جميلة

جمع فكتور أطراف شجاعته ثم أسر اليها برأى الجنرال فسرت رعدة الرعب فى أوصالها ، ولكنها تشجعت ومضت تخبر أباها بما أسره اليها فكتور ، وزادت عليه قولها :

— أبى ! عليك أن تأمر جوانيتو ، وعليه أن يصدع لأمرك اذا كان مخلصا لك ، فى طاعته إياك وتلبيته لرغبتك إسعادنا ، فلما سمعت الأم ذلك أحست بالامل يعاودها ، وظنت أن نجاتهم أصبحت قاب قوسين أو أدنى ، وما علمت أن المركيز إذ ذاك يطلب من ولده أمراً إداً ، تنهد له الجبال هدا . وإذ تبينت الحقيقة وعلمت بالواقع المؤلم ارتدت الى الوراء تعلوها صفرة اليأس وعرف جوانيتو السر ، وأنه سيظل حياً لا يقتل ، اذا قام باطاحة رقاب أمه وأبيه واخوته ، فثارت دماء الغضب حارة فى عروقه ، وهب ثائراً كالاسد قد الفي نفسه أسير قفص من الحديد ، بعد أن كان يطأ الثرى تيها فى زهو الامير وخيلاء العظيم ، ويرى الغابة كلها تكاد تضيق عن خطى أقدامه ، ولكن الاب هدأ كل ذلك بنظرة دقيقة الى ابنه وقال له « جوانيتو »

فكانت إجابة جوانيتو هزة الرفض من رأسه وارتمى خائرا على مقعده ، يصعد ناظريه فى

أبويه ، وقد تجلت الدهشة والاسى والغضب فى عينيه الحائرتين ، فلما رأت كلارا إصرار أخيها على الرفض ، تركت مكانها الى حيث جوانيتو وطوقت عنقه بذراعها البض وجثت أمامه وقبلته فى عينيه قائلة :

— أى جوانيتو ! يا أعز ما أملك ! آه ! . . . ما ألذ الموت اذا كان من يدك . إنك لاتدرى حلاوته كما أشعر بها الآن . أنقذنى ياجوانيتو . من يدى السفاح . الملوث اليدين حتى لايقال . . ان جلادا حقيرا أطاح رقاب العائلة الحاكمة ، وأنقذنى من براثنه ، ومن بين مخالب رجل آخر . .

ثم نظرت شزرا الى فكتور ، نظرت اليه نظرة تفيض حقداً وكراهية واحتقارا ، وكأنها بذلك تثير فى نفس أخيها الحقد والاحتقار للفرنسيين ، وتشعل الضغينة فى صدره عليهم ثم قال له أخوه فيليب متوسلا :

— كن شجاعا صنديدا ، والا محوا اسم عائلتنا الشريفة من الوجود

وأمره الاب فلم يجب، فجثا المركيز أمامه هو واخوته جميعا ورفعوا أ كفهم متوسلين اليه أن يضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة ، وأن ينقذ اسم العائلة من أن يدنس ، وعرف الاب من أين تؤكل الكتف فأهاب به قائلا :

— أى بنى ! أغادرتك شجاعة الاسبانى واحساسه الشريف ؟ ! أجثو أمامك وأتوسل اليك ولاترد طلبى ؟ أتفكر فى ألمك فحسب ولاتزنه بآلامنا جميعا اذا أصررت على المكابرة ؟

ثم التفت الى زوجته قائلا

— أهذا ولدي يازوجتى المركيزة ؟

فقالت فى بأس : سيلبى طلبك أيها المركيز

ولحت جبين جوانيتو ينعقد أ كثر ، وتبينت أنه يألم لها اكثر من الجميع ، وحينذاك كانت أخته الثانية «ماركينا» قد تعلقت باطراف ذيل أمها بقبضتيها الضعيفتين ، وأخذت تذرف الدموع فلما شاهدها فيليب لامها وانتهرها . واذ ذاك دخل الحجرة كاهن المدينة ، فالتفوا حوله كصغار الطير ومضوا به الى جوانيتو الصامت ، فلم يستطع مرشاند حينئذ أن يري هـذا المنظر الاليم ، فبارح الغرفة الي حيث يجتمع الجنرال مع بعض قواده يجرعون الخمر ، وقد أصدر أمره باحضار فرقة من الجند تذب الناس عن أن يقربوا من جثث الخدم المشنوقين مدلاة أمام أعين السابلة ، ووقف الجلاد بهيئته المفزعة ليحل مكان جوانيتو اذا ماخانته شجاعته ، ولم يستطع أن يقوم بتنفيذ

ماعهد اليه . وصدع هذا السكون الضارب أطنابه على المكان وقع أقدام عائلة المركيز ، يحيط بهم الجند شاهرين سيوفهم يلمع فى ظباها الردى ، ولم تفارق الهيبة أفراد الاسرة ، وكانوا يتقدمون الى حيث النطع ممدود فى خطوات هادئة ، لا أثر للخوف او الاضطراب فيها ، غير أن أحدهم قد علته صفرة الموت ، سار متكئا على ذراع الكاهن الذى أخذ يهدىء روعه المضطرب بترانيم دينية ، فعرف الجميع حينئذ أن جوانيتو سيقوم بمهمة الجلاد فى إطاحة الرقاب . وجثا الجميع قريبين من المقصلة ، وأى مشهد آلم للنفس من أن ترى عزيز قوم ذلّ ؟ لقد كان المركيز وزوجته وابنتاه وولداه أمام جوانيتو الذى أسر اليه الجلاد ببعض كلمات فى كيفية الاعدام !

* * *

حينئذ اقتربت كلارا من أخيها وصاحت به

— جوانيتو ! ابدأ بى إذا أردت أن ترفق لشجاعتى المنهوكة . هيا أطح رأسى أولا !

وساعتئذ ابصر الناس الضابط فكتور مارشاند مسرعا نحو كلارا التى جثت على ركبتيها تتأهب للامر الواقع ، وتستعد لان يطاح رأسها ، فلما حاذاها تماما قال لها فى أذنها :

— إن الجنرال ليعفو عنك ويهبك الحياة اذا رضيت به زوجا لك !

فصوبت اليه نظرة ملؤها الكبرياء بنفسها ، والازدراء له ، ثم صاحت باخيها كأنها اللبؤة الضارية فى شدة :

— هيا ياجوانيتو . . انى على أتم استعداد . . .

وإذ ذاك أبصر الناس رأسها الجميل يتدحرج تحت قدمى أخيها ، وقد انفصل عن جسدها وسرت الرعشة فى جسد أمها إذ رأت ابنتها تقتل على مقربة منها ، ولكنها ملكت عواطفها وتقدم أخوه « عمانوبل » وسأله :

— أتراني فى مكاني تماما أيها العزيز جوانيتو ؟

وطاح برأسه ، ثم أقبلت أخته الصغيرة « ماركينا » والدموع تنهمر من عينيها ، وجثت على النطع ، ماركينا تلك الفتاة الصغيرة التى لاتعرف شيئا والتى تتمثل فى نظراتها البراءة والسذاجة ؟ فلما أبصرها جوانيتو تبكى ، ثارت فيه عاطفة الاخوة قائلا :

— حبيبتى ماركينا . . . أتبكينى يا أختاه ؟

فقالت — نعم ياحبيبى جوانيتو ، اننى أبكى من أجلك ، اشد مايؤلمنى أن تظل وحيدا بعدنا تبحث عنا فلا تجدنا معك

ولـكنه رفع السيف فى يده ثم أهوى به على رقبة الصغيرة ، فتدحرج رأسها وقد انفجر الدم وصبغ شعرها الاصفر الجميل بلونه القانى ، واذ ذاك تقدم منه أبوه المركيز فصوب ناظريه وصعدهما فى دماء أبنائه الجارية تحت قدميه ، كأنها المياه المتدفقة شاهدة على ظلم الانسان لأخيه الانسان ، ثم التفت صوب الجماهير الذين عقدت الدهشة ألسنتهم ، فـكانوا أصناما لاتتـكلم أو تتحرك ، تأثرا من هذا المشهد المروع ، ثم مد يده الى جوانيتو وصاح فى صوت قوى النبرات حادها قائلا :

— أيها الاسبانيون ! انى ابارك ولدى وأهبه دعوات الابوة ، والآن هيا أيها المركيز أطح رأسى ، ولايأخذك الخوف أو الرعب . هيا لاتثريب عليك أو جناح !

فلبى نداء أبيه صامتا حزينا

وحينئذ أقبلت أمه ، منهوكة القوي وخائرة الاوصال ، كيف لاوقد رأت أبناءها جميعا ، وزوجها المركيز تطاح رقابهم ، ألم يؤلمها ذلك المنظر وهي تشاهد بنيها وولديها تتدحرج رقابهم معفرة بدمائهم الطاهرة ، انه قلب الام الذى

لاربة النسيان ترحم حزنه وترى بكاه
كلا ولا الايام تبلى فى أناملها أساه
الا اذا ضفرت له الآقدار إكليل الجنون
وغدا شقيا ضاحكا تلهو بمرآه السنون

أقبلت أمه متكئة على ذراع الـكاهن ونظرت اليه نظرة الوداع ممزوجة بأحر الالم ، فما رآها حتى تنبهت حواسه الخامدة وثار غاضبا وقال :

— كلا كلا لن أقتلها ، إنها أرضعتنى صغيرا من ثدييها هذين !

فانتفض الجميع حين سماعهم هذا وانتزعت تلك الـكلمات صرخة الفزع من قلوبهم جميعا وسكنت ضحكات الضباط وعرفت المركيزة وقتئذ أن شجاعة جوانيتو ولت ، ولم يعد ذلك القوي فجمعت ماتبقى من شجاعتها المبعثرة ثم قفزت من فوق قمة المنحدر فهوت فى القاع وقد مزقتها الصخور الجاثمة فى أسفله شر ممزق ، فهتف الجمهور المشاهد هتاف الاعجاب . أما جوانيتو فقد غشى عليه وحملوه الى الخارج وظل يعيش فى وحدته يناجي خيال اخوته وأبويه ، وأطلق الجميع عليه لقب « الجلاد »

حسن محمد حبشى

جنون العظمة

بقلم الدكتور أمير بقطر

نقصد بالجنون هنا أوسع معانى الكلمة . نعنى به التمادى فى خطته الى أبعد ما يدخل فى حدود المعقول ، والاسترسال فى رأى الى حد تنبو عنه الطبيعة البشرية ، وتنفر منه الاذواق السليمة . نعنى به تلك الثورة النفسية الحادة التى تطوح أحيانا بعظماء الرجال الى أعمق أعماق الخديعة والنذالة والقسوة،والفتك بعباد الله الآمنين

نعنى به تلك النفس الجامحة الهائجة الطموحة ، التى ثملت بنشوة الشهرة والفوز ، وترنحت بخمر الجاه والسطوة والسلطان،فقذفت بصاحبها الى سماك الجبروت والزهو والخيلاء ، وحلقت به فى سماء العجب والتيه والاختيال ، فداس بقدميه رغبات الافراد والشعوب، واستهتر فى سبيل الاثرة وحب الذات ، حتى أسف الى أحط درجات الاسفاف ، وتغلغل فى مراتع القصف والترف واللهو الى أقصى حدود التغلغل

نعنى به شدة التطرف والشذوذ والخروج عن المألوف، خروجا يحا كى من أصابه مس من الخبل أو اعتراه طائف من الجنون

هذا ما نعنى بالجنون فى بحثنا . أما العظمة فلا تحتاج الى بيان ، اذ أنها الصفة التى تلازم فطاحل الرجال من الملوك والزعماء السياسيين والاجتماعيين،والفلاسفة والكتاب وقادة الرأي وقواد الحروب وأساطين العلم ورؤساء الدين ، والبراطرة والحكام والسلاطين

ويمكن أن نقول أن حقيقة موضوعنا جنون العظماء (لا جنون العظمة) على أصح تعبير ، وأرجو ألا يتبادر الى ذهن أحدنا أننى أتكلم عن العظماء عامة ، أو أننى اتحدث عن المجانين عامة ، حاشا فهيهات أن يكون كل العظماء مجانين ، وهيهات أن يكون كل المجانين عظماء . واسمحوا لى أن أذكركم بالحقائق الاتية التى قد تكون خاصة على بعضكم وهي

أولا — أن ذلك النوع من الجنون الذى نؤاخذ عليه العظماء ، قد يتصف به غير العظماء ، غير أننا لا نعيره اهتماما ، ولا يسترعى أنظارنا ، لعدم شهرة أصحابه وخمول ذكرهم

ثانيا — يظهر أن العظمة كالعبقرية تلازمها فى كثير من الاحايين صفة من صفات الجنون التى اسهبنا فى تعريفها فى صدر الكلام

ثالثا — قد يكون جنون العظماء مسا حقيقيا فى العقل ناتجا عن اضطراب فى الجهاز العصبى مصدره امتداد السلطان ، أو خمرة الانتصار أو ذيوع الشهرة أو وفرة التفكير وانشغال البال واشتداد الهمة ومواصلة العمل أناء الليل وأطراف النهار . ويكون هذا المس وقتيا يعاود صاحبه من حين الى حين



الدكتور أمير بقطر

رابعا — قد يكون جنون العظماء منتهى الحكمة وعصارة العقل ، وخلاصة الذكاء . معنى ذلك أن مانسميه جنونا أحيانا ان هو الا ابتكار لايدرك كنهه الاذلك العظيم المبتكر، أو فكرة لايعلم مراميها ويقرأ منافعها من وراء حجب المستقبل البعيد، سوى العظيم صاحب الفكرة

خامسا — ان جنون العظماء الذى قد يروعنا أمره لصدوره من أولئك الافذاذ العباقرة . هو ثمرة تلك الطبيعة البشرية التى يقول لنا علماء النفس أنها لاتزال على فطرتها الاولى كما اتصف بها أجدادنا منذ

عشرات الالوف من السنين حينما كانوا يتسلقون الاشجار ويعيشون فى الادغال تلك الطبيعة التى رغم تقدم العقل الانسانى تقدما لامثيل له فى عالم الماديات والمخترعات والاستكشافات، ورغم انتشار العلوم والمعارف التى هتكت استار الكون واخترقت حجب الظلام رغم كل ذلك لا تزال تلك الطبيعة البشرية همجية وحشية خشنة فظة لاتختلف الا قليلا عن طبائع الضوارى فى القفار، والوحوش فى الغابات والآجام

* * *

لنرجع الان الى التاريخ نقلب صفحاته . ولنأخذ من هنا ومن هناك أفرادا من رجاله الذين تخلدت اسماؤهم، سواء أأجمع المؤرخون على الاطناب فى صفاتهم أم اختلفوا وسواء أاتفقوا على القدح فى شمائلهم، أم لم يتفقوا

وكما قلنا فى تعريف العظمة، قد يكون بين هؤلاء الافراد الذين سنتخدهم أمثلة لموضوعنا من لايستحق أن يدعى عظيما فى نظر البعض ولكنا ندرجه بين العظماء لان التاريخ قد خلد اسمه على كل حال . فلو كان الشيطان شخصية تاريخية حقيقية غير وهمية له اسم ولقب وتاريخ ميلاد ووفاة وصناعة ومكان مختار لما ترددنا لحظة فى وضعه فى مقدمة هذه الامثلة . لانه رغم كونه شخصا وهميا خياليا لاوجود له، فانه بلا شك شيخ المجانين اذا قصدنا بالجنون معناه العام الشامل، وهو المعنى الذى نقصده . كما أنه كذلك عظيم بلا نزاع، اذا قصدنا بالعظمة المعنى الذى حددناه فى موضوعنا

* * *

ولنبدأ الان بالتأمل فى حياة بعض هؤلاء العظماء لنبحث عن نصيبهم من الجنون أو اذا تساهلنا فى التعبير فلنتأمل فى هؤلاء المجانين لنبحث عن نصيبهم من العظمة

وليكن أول هؤلاء الاسكندر أو اسكندر الاكبر، أو اسكندر ذا القرنين (سنة ٣٥٦-٣٢٣ قبل الميلاد) وتربطنا به نحن المصريين صلة قرابه، اذ أن عاصمتنا الثانية أسست بيده وسميت باسمه

لم يكن الاسكندر مجنونا بالمعنى الخاص كما يتضح من هذه الحقائق التاريخية الثابتة . فقد ولد من أب كان شعلة من الذكاء، وهو فيليب المقدونى، وربى على يدي ارسطو رب العلم والفلسفة فجاء الاسكندر خلاصة الحسب . لم ير الاغريق أكرم منه أخلاقا، ولا أنبل فطرة، ولا أطيب عنصرا، فكأن شمائله سبكت من الذهب المصفى

قتل أخوه الصغير من كيلوبترا زوجة فيليب الثانية، وكذلك امنتاس ابن عمه، حتى يخلو له

سرير الملك . شب الاسكندر شجاعا فوق كل شجاعة . وبطلا مغوارا لا تعادله بطولة . شديد الولع بمجابهة الاخطار وملاقاة الخطوب ، ماهرا فى اذكاء نار الحماسة فى الجنود ، حاذقا فن الحيل الحربية ومفاجأة العدو بعد استدراجه والتقهقر أمامه تقهقرا مصطنعا، وقد تولى زعامة جيش وهو فى السادسة عشر من عمره ، أخمد به ثورة اندلع لهيبها فى تلال مقدونية

وكان له فوق مواهبه الحربية صفات ممتازة تستحب . فقد كان خصب الخيال ، ثابت العزيمة عاملا لايتطرق اليه الملل . وكان على النقيض من ملوك الرومان ، عفيفا ، عزيز النفس ، قوى الشكيمة ، فى ضبط عواطفه وشهواته ، شديد المحافظة على الشرف والاعتزاز بالنبل ، دقيقا فى واجباته الدينية نحو الالهة ، ماهرا فى اصابة الحكم ، عندما كانت ترتاب حاشيته فى الشكوك والتردد شديد الغيرة على انجاز وعوده

وكان بعيداً عن التبذير ، يغل يده الى عنقه فيما يختص بنفسه ، ويبسطها كل البسط فيما يتعلق بالغير ، وكان بذولا ، فياضا ، بسيط الكف فيما يختص بحاجات الدولة

ولكن . . رغم ما جبل عليه من الاريحية وما نحت عليه من المروءة ، فانه من الغريب ، لم ينج من ذلك الخبل ، ولم يفلت من نزعة الجنون التى كثيرا ما تصيب العظماء . فقد كان مجنونا فى حب الشهوة ، والظهور بمظهر العظيم الفاتح القاهر ، حريصا على الشموخ فوق الجميع فى كل زمان ومكان . يغضب اذا ما انتقده الغير ، أو أسدى اليه الاصدقاء النصيحة ، ينصت الى عبارات المديح والملق ساعات ولا يمل ، ويفتح أذنيه لمن يطنب فى صفاته ، ولا يشبع . وقد زاده طول شعره ، وجمال طلعته غرورا بنفسه ، فأطلق شعره فوق عنقه ووجهه وزينه تزيينا ، قلد به الاسد الضرغام . فكان يخاله الناظر اليه وهو جالس مسندا رأسه الى يديه ، كأنه ليث رابض فى عرينه ، وكان اذا جرؤ أحد على مخالفته ، زأر زئيرا ، وزمجر زمجرة ، انتفض لها اقرب المقربين اليه . وقد تمادى فى ادعاء الجبروت والقوة والعظمة ، حتى انتفخ كبرياء ، وادعى الالوهية عقب عودته من فارس ، وحض الشعب على عبادته ، والسجود اليه ، وزعم أن نسبته الى فيليب المكدوني والده ، او اتصاله بأى نسب انسانى كان ، أمر لاصحة له على الاطلاق . ولما جرح أخفى جراحه ، وأنكر اصابته ورفض فى بادىء الامر أن ينعكف فى فراشه ، وأراد أن يلقى بنفسه فى نهر الفرات بعيدا عن عيون الرقباء ، حتى يقال عنه انه كان سليل الالهة ، وانه لم يمت بل صعد الى السماء حيا كسائر الالهة

نترك الاسكندر ، ونقفز قفزة سريعة ، مداها ثلاثة قرون أو أكثر ، الى عصر الرومان فى فى الجيلين الاول والثانى بعد المسيح . واذا ماذكرنا روما فى ذلك العصر ، عادت الى الذاكرة

العظمة ، والمدنية ، والثقافة ، والفن . يحدثنا التاريخ أن روما فى القرنين الاول والثاني للميلاد كانت أكثر مدنية وثقافة من انجلترا فى عهد الملكة فكتوريا . مثال ذلك أن توزيع المياه وتوصيله للانابيب الى المنازل ، كان لايقل نظاما عما هو عليه اليوم فى أكثر البلدان تمدينا . وأن الهواء الساخن الذى تتمتع بهالفنادق والمنازل فى أوربا وأميركا اليوم فى فصل الشتاء « ولاتتمتع به فى مصر » كان معروفا فى كل قرية رومانية فى الجيل الاول للميلاد . وكان التعليم فى الدولة الرومانية سنة ٢٠٠ للميلاد ، اكثر انتشارا ورقيا منه فى دولة ايطاليا سنة ١٨٥٠ للميلاد

ويحدثنا المستكشفون الفرنسيون أنهمع شذوذ الكثيرين من حكام الرومان وبراطرتهم وتفننهم فى ضروب الجنون ، وانغماسهم فى مراتع اللهو ، والقصف والترف ، فانهم كانوا ميالين الي التعمير والاصلاح ، شديدي الغيرة والوطنية

وقد عثر أولئك المستكشفون على آثار يستدل منا يقينا أنه كان للرومان فى الجيل الثاني الميلاد مستعمرة فى شمال افريقيا (ولعلها ليبيا وطرابلس) استحالت فيها الصحراء الجرداء بفضل جهودهم جنة ناضرة ، وأن أحد سراتها وهب مكتبة للمدينة التي يسكنها أنفق عليها مايعادل اليوم بالعملة الانجليزية نحو ٩٠٠٠ جنيه ، وأرصد لها من ماله ٢٠٠ جنيه سنويا ، وتبرع بثلثى نفقات مدرسة ثانوية بشرط أن يتبرع أهل المدينة بالثلث الباقى (وهذا ما يجري اليوم تماما فى أميركا وأوربا وعلى الاخص فى أميركا فان المحسن يتبرع بجزء كبير من نفقات مشروع بشرط أن يتبرع غيره بالباقى فى زمن معلوم) . . وتبرع غيره بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه للفقراء و ٤٠٠٠ للحمامات العمومية (للفقراء ولا يوجد عندنا شيء منها) و ١٦٠٠ جنيه للمعتقين من العبيد

فى جانب هذه المدنية الراقية التى تزرى بمدنية هذا العصر فى كثير من البلدان . وبجانب هذه الغيرة على الوطن النادرة المثال ، وبجانب هذه العظمة التي حسبنا الاشارة اليها ، كلما أشرنا الى مجد روما الغابر ، وتاريخها الخالد ـ بجانب هذه المظاهر الخلابة نجد عظماء تلك الدولة ونبلاءها يسكرون بخمر العظمة والسلطان فى قصور الدولة ، كما يسكرون بخمر الدنان فى مواخيرهوموبآ ى. كان يأ كل العظيم منهم حتى يتخم ، ويملأ بطنه من اللحوم حتى يبشم ، ويستهتر بالشراب ، ويسف الخمر حتى تلعب برأسه . ولا يزال كذلك حتى لايطيق احتمال المزيد . فيعمد الى دنان مطمورة في الارض لهذا الغرض . ويقيء فيها كالكلب ، ثم ينزل الى بركة للسباحة يغتسل فيهاعاريا ، مع حسان

عاريات. فاذا ما نال منهن وطره، أعاد الكرة لالتهام الطعام واحتساء الشراب. وهكذا يقضى شطرا كبيرا من العمر بين الكؤوس والدنان . والنساء الحسان، حتى يهيء له القضاء امرا كان محتوما

وبلغ جنون الحكام والبراطرة فى عهد الرومان درجة لم يسبق لها فى تاريخ الظلم والاستبداد والقسوة والاستهتار بالارواح من مثيل . وكانت نتيجة ذلك الجنون وهذا الاستبداد، ان حياة رجال الدولة وكبارها باتت فى خطر مستديم . فاذا ما لاحظ أحد الوزراء او أعضاء المجالس التشريعية أو أحد كبار رجال البلاط ، ان الامبراطور عابس فى وجهه او اذا تخيل ذلك ، أيقن أن سيد البلاد غير راض عنه . فلم يبق أمامه الا أن يغلق بابه ويدخل مخدعه ، ويقطع شريانا من شرايينه ويستنزف دمه حتى تزهق روحه بعد أن يكون قد كتب وصية حرم فيها جمع ورثته وأوقف جميع ماله وعقاره على ذلك الامبراطور (الذى عبس فى وجهه) وختم وصيته بالدعاء الى الامبراطور والاطناب فى عظمته وحسن خصاله والقول بأنه أعدل الحكام وأشدهم رحمة بالعبادة وأكثرهم صلاحا وتقوى

وقد تفنن حكام الرومان فى الجنون ، فضربوا فيه بسهم وافر ، ولا يبعد أنه على يديهم نشأ المثل العالمى المعروف «الجنون فنون» فمن هذه الفنون فن الفتح والغزو ، واستعباد الأمم المغلوبة على أمرها ، ولا يزال للاسف هذا اللون من الجنون ، يزين هامات بعض الملوك من غير ذوي التيجان . ومن هذه الفنون ، قاتلها الله ، احتساء الخمر حتى يستحيل صاحبها حيوانا جامحا ، وبهيما طائشا ووحشا ضاريا ، ويتبع ذلك الفن عادة ، الاستسلام للشهوات الحيوانية ، والغوص فى لججها فى وسط زمرة وفيرة العدد ، من فاجرات النساء ، وأشدهن جمالا وخديعة ، وعهارة واستهتارا. ومن هذه الفنون التعطش إلي الدماء ، والاستمتاع بتقتيل الابرياء والشهداء ، ورؤية الارواح تذوب أمام عيونهم على شفرات السيوف . وقد بلغ شغفهم بهذا النوع من الجنون مبلغا قال فيه أحد المؤرخين إن لحكام الرومان وبراطرتهم غريزة خاصة يولدون بها وتمتزج بدمائهم ، وراثة أبا عن جد ، وهي غريزة الولوغ فى الدماء

وليس ثمة من المبالغة فى شيء أن يقول لنا المؤرخون ، بأن براطرة الرومان وعظماءهم ، كانوا يقضون شطرا كبيرا من الزمن فى مسارح المصارعات والالعاب الرياضية و «الامفتياترات» ولا تزال آثارها موجودة إلى اليوم كالكولوسيوم فى روما وفيرونا ، يشاهدون الشجعان تفتك بهم الاسود ، وتمزق أعضاؤهم جذاذا ، بينما هم (البراطرة) فى مقصوراتهم الفخمة يأكلون ألسنة البلابل

مشوية ، تقدم لهم أطيب الاطعمة فى أطباق من الذهب ، وأعتق الخمر فى أكواب من المعادن الثمينة ، وتحيط بهم الحسان إحاطة السوار المعصم أو الهالة بالقمر، فمن جالسة على ركبتيه ، الى مطوقة عنقه ، إلى مقبلة وجنتيه ، إلى مهيئة طعامه ، الى ساقية خمر . ولا يطيش سهم ظننا بعيداً اذا استنتجنا أن ملاهى كبار الاندلسيين (الاسبان) اليوم ، ما هي الا صورة مصغرة لملاهي الرومان ، فان أحب الاشياء الى سراة الاسبان اليوم ثلاثة : النبيذ والنساء والثيران أو كما يقول كتاب الانجليز wine , women & bulls

بيد أن العدل يقضى بألا نسترسل فى لوم هؤلاء الذين شئنا أن نلقبهم بالمجانين ، لان بعض اللوم منشاؤه البيئة التى ترعرعوا فيها ، وتقاليد الازمنة التى فيها يعيشون . ان ألوان الجنون « كالمودة » تروح وتجيء ، وتتعدل وتتطور ، فيتزيا بزيها العظماء أحيانا رغم أنوفهم ،ونزولا على ارادة بطاناتهم . ويدلنا التاريخ على أن عصر البذخ والتبذير والفخفخة فى عهد نيرون تبعه التدبير والبساطة فى عهد « فيسبيسان » خليفة نيرون ، وكانت الحياة فى عصر تراجان وهدريان منظمة مهذبة ، وكانت الفلسفة فى عهد أورليوس أكثر انتشاراً بين العظماء والاشراف من الرذيلة ، وأكثر تحببا الى قلوبهم ، وتقربا الى أفئدتهم من أقداح النبيذ ووجنات الحسان

ولا أكون مصيبا المرمى اذا تركنا الحديث عن الرومان قبل أن نعرج على كبير المجانين ، صديقنا نيرون الملقب بالظالم (٣٧ — ٦٨ ميلادية) الذى قيل عنه كذبا أو مبالغة أو صدقا ، أنه أحرق روما الخالدة ، وجلس ينشيء قصيدة وصفا فى مجدها الذائب فى نار الاتون ،المندلعة ألسنها وأمامه كعادته أقداح النبيذ ، وعازفو الموسيقى، ومهرة المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات

ويحمر الجبين خجلا اذا ما أتينا على كل ما اتصف به نيرون من ألوان الجنون ، وضروب الشذوذ. وحسبه أنه قتل جميع أقاربه ، حتى ظلت الاسرة المالكة قبله وفى عهده وبعده بغير قيصر وارث نحوا من مائة سنة. ومن أولئك الذين نالهم سيف جنونه ، كلوديوس ، الذى قتله نيرون بيده بالاشتراك مع أمه « أجريا » ومنهم سنيكا مربى نيرون ومعلمه — سنيكا ذلك الفيلسوف الروائى الكاتب الذى ربح من رواياته التراجيدية ، مارفعه الى منزلة الموسرين الاشراف الارستقراط ، وحمل سنيكا على الانتحار بواسطة ذلك الطاغية تلميذه نيرون سنة ٦٥ م. ولم يكتف بقتل أقاربه حتى قضى على حياة أقربهم اليه وهى أمه أجريا، فقد سولت له عاصفة جنونية أخيرا أن يذبحها ذبح الاغنام ، فلما اقتربت منها جنود نيرون ، توسلت اليهم أن يطعنوها بالخناجر فى بطنها قائلة وهي

تبكي « اطعنوا غير آسفين ذلك البطن الخبيث الذى حمل ذلك الوحش المفترس »

كان نيرون مشرق الجبين ، وضاح المحيا ، تلوح عليه منذ الصغر ديباجة الحسن . وكان كالاسكندر مولعا بشعره الجميل الكثيف المنساب على وجهه . وكان كلما هز رأسه لابعاد الشعر عن عينه ، امتلأ المكان بالعبيق وشدة العطور . ولكنه كان خسيس الملكة ، دنىء الاصل والفرع ، طوى على الشر ، وكأنه كانت تجرى عصارة الفساد والتهتك فى دمه ، فكان وهو فى السابعة عشر من عمره يداعب الزانيات ، ويتبل الخليعات على قارعة الطريق

فهل من المستغرب أن نسمع عنه أنه تزوج غلاما ، وضاجع ذكورا ، وزني بقريباته من النساء؟ وهل من المستغرب أن نرى عظماء القوم ونبلاءهم فى عصره ، يتشبهون به ، ويفسجون على منواليه، فارتكبوا الفحشاء جهارا مع عماتهم وأمهاتهم ، وخالاتهم وأخواتهم ، وأبناء الاخوة وبناتهم ، والناشىء علي دين ملوكهم ؟ وهل من الغرابة ان تبلغ الجرأة فى عهده أن مهام الدولة الرومانية ، وسياستها الخارجية والداخلية ، كانت تقرر في صالونات السيدات ، وأسرة النوم ومجلس الحسان وأنديتهن ؟ وهل من الغرابة أن تفسح هذه الحياة فى ذلك العصر مجالا لدسائس العصور وفضائح البلاط الرومانى ، على يد أمهر النساء حيلة ، وأشدهن دعارة وتهتكا ؟ ولولا ضيق الوقت لذهبت سريعا ، بهذه المناسبة ، الى مثل هذه الحياة المستهترة فى بلاط لويس السادس عشر ومارى انتوانيت فى فرنسا فى الجيل السادس عشر فى عهد هنرى الثامن الذي كان مزواجا ، كثير التعشق بالنساء من نبيلات وخادمات ، حتى ضرب به المثل ، وكذلك فى عهد مارى كوبن أوفاسكوت « الجيل السادس عشر أيضا » تلك الشابة التى استهوت الباب رجال بلادها وغيرهم من عامة الشعب حتى اضطر مجلس البلاط أن يضع رأسها على النطع وبفصل الجلاد رأسها بالفأس وهي فى العشرين من عمرها

نعود الى نيرون ، فنقول ان ثائرة جنونية هيأت له أن في ميدان النبوغ متسعا للجميع ، فخيل اليه أنه مؤلف ، وشاعر ، وموسيقى ، وممثل ، وفيلسوف مفكر ، ولو وقف عند هذا الحد ، وألف ونظم وعزف وأنشد وتفلسف ما شاء من التأليف والشعر والموسيقى والتمثيل والفلسفة . لو فعل ذلك فى قصره أمام النبلاء والاشراف والمعجبين به من رجاله ونسائه ، لهانت البلوى ، ولكن وصل به الخرف والهتر أن يخرج مواهبه المسرحية العظيمة من مكامنها ، فظهر على مسرح روما موسيقياً ، وراقصاً

وممثلا ، وأكثر من ذلك أنه فى سنة ٦٦ ميلادية ، أراد ألا يحرم الشعب اليونانى من هذا النبوغ فظهر بعظمته الامبراطورية على مسرحي أولمبيا ودلفى تباعا فكان عمله مهزلة تاريخية لم يسبق لها مثيل . ومن الغريب أن يثير هذا النوع من الجنون سخطا بطبقة الارستقراطية فى روما ، حتى أن مجلس الشيوخ اضطر أخيراً أن يضع حداً لهذه المهزلة الجنونية ، فحكم عليه بالموت ، ولما سمع اقدام الجنود القادمة لقتله ، جمع أطراف شجاعته ، وأردى نفسه قتيلا بيده

ولمارا غيرما أسوف عليه لقب بالظالم وحسن الرذيلة كما لقب طبريوس بالظالم الشهوانى (libidian) واقلاديوس بالبهلوان المتحذلق ، وجايوس بالمجذوب المعتوه . ولم يكن نيرون وحده كما نرى مجنونا من مجانين العظماء

ولاضرب لكم مثلا فكها من أمثال الجنون فى شخص جايوس هذا (Gius or Caliula) كان الامبراطور جايوس شديد الاحتقار للنبلاء ، كما هي العادة عند بعض الحكام الذين يباهون باحتقارهم لرجال الدولة ، لزعمهم أنهم عبيد لهم وخدم طائعون

حدث فى أيام جايوس أن خلت وظيفة قنصل جنرال فى مملكة من الممالك التابعة للامبراطورية الرومانية الواسعة الاطراف . فطالب أفراد أسرة شريفة بمنح هذه الوظيفة السامية لأحدهم، واحتقاراً لهذه الاسرة النبيلة التى جرؤت على هذا المطلب ، أصدر جايوس أمره الامبراطورى بتعيين جواده الاصيل قنصلا جنرالا لتلك المملكة . وعين أحد رجاله وكيلا للقنصل بالطبع . وقد ذكرتني هذه المواقعة التاريخية باحدى المجالس المحلية للتعليم فى أميركا فقد أراد ذلك المجلس فى سنة ١٩٣٢ أن يعترف رسمياً بخدمات بغل ظل أكثر من عشرين عاماً يجر عربات لنقل الطلبة الى مدرستهم من قرى مختلفة . فلما جاء يوم توزيع الدبلومات على الذين اتموا دروسهم الثانويه ، دهش الحاضرون أن يروا على المنصة التى وقف فوقها الطلبة من بنين وبنات ذلك البغل الامين بين الطلبة ، وزادت دهشتهم عندما سلم مدير المجلس البغل دبلوم الشرف الدراسة الثانوية مربوطا بالطبع بالشرائط الحريرية . .

ولجايوس الامبراطور هذا طائف آخر من طوائف الجنون فقد كان مولعاً بأصداف أم الخلول. وقيل له أن شواطىء نورماندى (الواقعة فى شمال فرنسا على بحر المانش) تكثر فيها أنواع أم الخلول هذه ، فما كان منه الا أنه عبأ عدة فيالق من جيشه . مع عظم المسافة بين روما ونورمندى ـ وناط بهم جمع الاصداف من هناك

ويعوزنا الزمن اذا عرجنا على جنون الفلاسفة وشذوذهم من ديجون وسقراط وفولتير وكانت ونيشه وشوبنهور وشوبير وغيرهم من الملوك والقواد والبراطرة والكرادلة . كنت أستطيع أن أتحدث عن ثورة الجنون التى حدث ببطل الشمال بطرس الاكبر قيصر الروسيا أن يذبح ابنه وولى عهده . ولكنى سأكتفى بسيرة نابوليون ، وما أظهره من علائم الجنون . أن لهيب العظمة ودخان المجد . يطوحان بأقوى الرؤس إلى حضيض الخبل والمهاترة والوسواس : وليس طغيانه على أوربا ، ومحاولته اكتساح روسيا ، ورغبته فى اخضاع العالم أجمع ، سوى نزعة من نزعات الجنون

وكان سكرتيره الخاص (لويس فلاان) ووزيره (جرانف) يفهمان نابوليون جيداً . ففرق بين الحالة التى تهب فيها على نابوليون عاصفه الجنون ، والحالة التى يكون فيها عاديا . فاذا ما أملى نابوليون على سكرتيره رسالة وأمره وزيره أن يعجل فى ارسالها مع رسول ، فان الوزير أو السكرتير يراعى مقتضى الحال . فاذا كانت صادرة عن أناة وتؤدة وروية ، نفذ أمره . واذا كانت نتيجة نزعة جنونية « صهين » عن ارسالها . فاذا ماسئل بعدئذ أجابه « لم أشأ ياجلالة الامبراطور ان اعجل فى ارسالها قبل اطلاعك عليها » ولا يكاد يطلع عليها حتى يقول « لقد احسنت فى عدم ارسالها ، حقاً انك تفهمنى جيداً »

وكان نابوليون كما نعلم يجفو الرقاد ولا يطمئن جنبه الى مضجع نظراً لوفرة اعماله ، وكثرة تفكيره ، وكان ايضاً صليب العود صادق البأس والصرامة ـ ومع ذلك فانه جن شغفا بالنساء ، وشدة فى الغرام بهن حتى حامت حوله الشبهات ، فقيل انه كان له علاقات غير شريفة مع زوجة ابنه لويس وهي ابنة جوزفين ، ولما ولدت زوجه هذه ولداً تبناه نابوليون ، فزادت الشبهة رسوخاً فى الاذهان رغم ادعائه أنها دسيسة من جوزفين . ومما دل على جنونه من هذه الناحية ما قيل عنه من انه اغوى اخواته واحدة بعد الاخرى ، واتصل بهن اتصالا معيباً . فاذا صحت دعوى المؤرخين فى هذه الرواية ، كان نابوليون شبيها بنيرون بعض الشبه ، ولا غرابة إذا قيل إن مخادع السيدات فى عهده كانت أشد أثراً من قرارات مجلس الوزراء . ولعل لهذا يعزى ضعف ثقته فى المرأة فمن أقواله المأثورة انني أشك فى عفة كل امرأة جميلة

من ضروب الجنون الفكهة ، أنه حدث بعد تتويجه ان دعا رؤساء الاقاليم المثول بين يدى البابا بيوس السابع ـ فاقتصاداً للمال قرروا الذهاب من فنادقهم إلى مقر البابا على الاقدام . ولما كانت الشوارع موحلة في شهر ديسمبر فى باريس وطبعوا على سيقانهم لفائف من القماش غطوا

بها جواربهم البيضاء الحريرية . وكان منظرهم فى زيهم الرسمى وسيوفهم البراقة مضحكا . ولما أن مثلوا أمام البابا التى عليهم عظة مؤثرة أذرفت دموعهم . وحدث أن بعضهم كان نسى فوضع تلك اللفائف البيضاء الملوثة بالطين فى جيوبهم فأخرجوها ظناً منهم انها مناديل ومسحوا بها عيونهم فتلوثت وجوههم بالوحل وكان منظرهم « كوميديا » من الدرجة الاولى . اما نابوليون فاتخذ هذه المهزلة أساساً للضحك وناط بالممثل الشهير مكو تمثيل هذه الواقعة امام الامبراطورة ورجال الحاشية فى باريس فى حفلة تمثيلية اقامها لهذا الغرض .

ونابوليون كثيرون ، ادى به جنون العظمة الى التدخل فيما لا يعرف . فقد كان يدعى الفلسفة احيانا فيتكلم عن الخلود والروح والاسلام والمسيحية . او يقرأ من فولتير أو الاوديسيا أو التوراة أمام حفل من الرجال والسيدات ، وكان يزأر غضباً إذا ماغلب النعاس على السيدات ، وهو يهاتر فى فلسفته ، وظل يقول : « أين الروح فى الطفل ، وأين الروح فى الرجل المجنون ؟ اذا دققت مسماراً فى مخك ذهب عقلك ، فاين تذهب روحك وما مصير الروح بعد الموت ؟ اذا مت أنا أصبح جسمى فى الثرى غذاء للكرمب والجزر . إن الماى بالتاريخ الماماً تاماً يجعلنى بعيداً عن أكون متدينا . أنا لا أصدق أن المسيح عاش حقيقة ولا اعتقد فى الدين المسيحى الا لذا كان منشأه منذ الخليقة غير أن الدين لازم للمحافظة على نظام المجتمع الانسانى . لقد أخطأنا فى انشاء مجلسى الشيوخ والنواب من العبث أن نقضى الزمن سدى فى الدستور وكانت انجلترا متمتعة به من مئة سنة قبل ذلك التاريخ . . . أن شئت ان تذكى نار الثورة فى بلد فما عليك الا ايجاد ممثلى الامه « . . . وتر لو ، وتر لو ، كل شيء متوقف على وتر لو . . وان المرأة لا يصح معاملتها على قدم المساواة مع الرجل . انها لم تخلق الا للتوالد . من المضحك الا يكون للرجل الا امرأة شرعية واحدة . الانسان ثمرة الجو وحرارة الشمس . واذا خيرت بين الاديان فانى أعبد الشمس لانها هى حقيقة الهة الارض » أليس هذا ضربا من المهاترة ؟

ولنسمع ماجاء فى الكتاب الذى وضعه « أصول الايمان » للجامعة . ويحتم على كل طالب حفظه «ما الواجب علينا نحو الامبراطور ؟ علينا للامبراطور نابوليون الاول الاحترام والطاعة والامانة والولاء والخدمة العسكرية . علينا أن نصلى لاجله ولتقدم الدولة الروحى والمادى . نفعل ذلك لانه خليفة الله الذى نصبه على العرش وخلقه على مثاله . الذين يخونون الامبراطور بحسب تعليم بولس الرسول يخطئون وعليهم لعنات الله الابدية ! » ولبس هذا كل شيء فبعد أن أصبح ذلك القائد

الصغير امبراطورا هذه سلطته وهذا سلطانه لم يكتف بان دعا نفسه خليفة الله المخلوق على مثاله ، بل أظهر عدم رضائه . ولما توج امبراطورا فى ديسمبر سنة ١٨٠٤ قال لوزير البحرية « لقد جئت الي هذا العالم متأخرا فنحن فى زمن كثرت فيه المنافسة وليس من الممكن أن يقوم الواحد منا بعمل عظيم بمعنى الكلمة » . ولما استغرب وزير البحرية اعترضه نابليون قائلا « أعلم انني صعدت سلم المعالي وان حياتى كانت مفعمة بحوادث العظمة ، ولكن شتان بين عصرنا وعصر القدماء ! انظر الي اسكندر ذى القرنين بعد أن استولى علي آسيا زعم أنه ابن جوبتير وماعدا أمه وأرسطو والقلائل من متحذلقي اثينا ، فان جميع الشرق أمن على زعمه . أما أنا المسكين فاذا ادعيت الالوهية فلا يبقي صعلوك او حقير الا ويقابل ذلك بالتصفير حتى زوجة الصياد . كلا يا ديسى ان الناس قد استنارت عقولهم ، ولم يبق أمامنا سوي النزر اليسير من مراتب العظمة ! »

من هذا يتبين أن نابوليون كان على وشك أن يحذو حذو الاسكندر وينادى بنفسه الها

وقيل عن أحد ولاة مصر أنه أمر ان يعد فى الحال يختا خاصا لسياحة نيلية له واعضاء بطانته ، فاعترض ربان اليخت قائلا انه لايضمن حسن النتيجة لان اليخت غير صالح للسفر فى زمن التحاريق غير أن الوالى أصر على رأيه وهدد الربان بالقتل اذا لم تكن النتيجة كما يريد . ولم يسر اليخت كثيرا حتى غاص فى الطين فامر الوالى ان يوثق الربان ويلقى فى النهر ، ولولا شفاعة رجال البطانة لكان الرجل من عداد الاموات . وتشبه هذه الرواية رواية أخرى للكاتب الاجتماعي تيلور فى مؤلفه Primitive Culture ذكر فيها أن أحد براطرة الهند الصينيين حكم على باخرة جديدة لم تحسن السير بالاعدام وفعلا كسرت تكسيرا رغم نفقاتها الكثيرة

ومن الروايات أيضا أن واليا من ولاة مصر عاد من رحلته فى البحر وقبل الاقتراب من الاسكندرية أمر الربان أن يوثق جميع رجال بطانته ويلقون فى البحر بغير سبب . فلما علم رئيس البطانة بذلك من الربان استأذنه فى بضع دقائق ودخل على الوالى راجيا منه أن يمهله حتى يكتب تاريخ الوالى المفعم بالحوادث الجليلة فطلب منه أن يسرد له بعض هذه الحوادث فاخذ هذا يقول ويطنب فى القول حتى رست السفينة عند الاسكندرية ونسى الوالى أوامره

وحدث أن واليا من ولاة مصر أيضا قيل له ان الاجانب يقولون عنه أنه جبان ولكى يبرهن أنه ليس كذلك أمر ان يرصف طريق طوله كيلومتر بالديناميت (عمق بوصتان) ، وأن يترك فضاء صغير جدا بجانب الطريق ثم أمر رجال حاشيته أن يشعلوا سجايرهم ويسيرون بجانب ذلك الطريق فى ذلك المسلك الضيق المحفوف بالخطر . وسار هو خلفهم والسجارة فى فمه وبذلك برهن على شجاعته .

وارد احد شاهات العجم ان يشاهد مرصداً جديداً بناه فطلب من مديره أن يريه كسوف القمر فلما بين له المدير ان الكسوف ليس تحت أمره قطع رأسه

ولا بد لنا أن نختم كلامنا بالملحوظات الآتية . ـ

١) يدلنا التاريخ على أن الكثير من جنون العظماء تقليد يكاد يكون أعمى لعظماء سابقين مجانين من هذه الناحية

٢) إن أكثر المجانين من العظماء يخفون شعورا دفينا وهميا بالالوهية يعسر عليهم إخفاؤه اخفاء تاما . فلا بدع اذا ظهر ذلك الشعور فى خلال خطبهم ونداءاتهم العامة ، وتبين فى سيرهم ، ووقوفهم فى أوامرهم ونواهيهم واذا أردنا التحقق من ذلك فما علينا إلا أن نقرأ بعض خطب الدكتاتوريين منذ غليوم الثانى سنة ١٩١٤ الى يومنا هذا وما علينا الا أن ننظر الى صورهم ، ونتفرس فى وجوههم ونتأمل فى وقفتهم على منصة او بجانب نصب تذكارى او تمثال لاحد ابطال الولاة والحكام

٣) قد يكون هذا الجنون تدبيراً وقتيا ، أوجدته الطبيعة لسبب لا نعلمه تماما ، والباعث لنا على هذا الظن أن هذه العظمة وهذا الجنون كثيرا ما يشيد من الدور العامة ، ويشق من الطرق ويرصف من الشوارع ، ويغرس من الحدائق ، ويبنى من دور التحف والصور والآثار والملاهى ، فى بضعة شهور مالا يستطيع أن يقوم به عظماء عاديون غير مجانين فى أحقاب وأجيال طويلة .وأن هذه العظمة أوهذا الجنون كثيرا ما يقضى بجرة قلم ، أو بنقطة واحدة على مئات من الخزعبلات والاباطيل والخرافات والعادات والتقاليد والمعتقدات البائدة ، فى لحظة واحدة ،مالا يجرؤ عظيم غير مجنون ، غير مستبد ، أن يفعله فى نصف قرن وما أحوج العالم إلى عدد من هؤلاء المجانين ، المستبدين الطغاة فى وقت الشدة بشرط ألا تطول فترات جنونهم فيعيثون فى الارض فساداً

٤) ان جنون العظماء من الولاة لا يتمشى الا مع نظام الدكتاتورية ، ولا يظهر داؤه الخبيث فى المصاب به الا فى نظام الحكم المطلق ، نظام الاستبداد والجور بغير رقابة الامة ، نظام الطغيان على أفراد الرعية كبارها وصغارها بغير محاسب ، واحتقار الشعب وتقييد حريتهم سيرا وقولا وكتابة وتجمهرا ، وقمع حركاتهم بالعنف والشدة بغير حياء أو خشية . ولا غرابة اذا كانت الدساتير ومجالس الامة بمبغض العظماء المجانين . ولا غرابة إذا كان البرلمان أو مجلس النواب لهؤلاء الدكتاتوريين المستبدين بمثابة مستشفى المجاذيب لهؤلاء العظماء المجانين .وأعنى بذلك أن المجالس النيابية يخافها العظماء المستبدون كما يخاف المجانين مستشفى المجاذيب ، وأن هذه المجالس النيابية فيها شفاء لداء العظمة ووقاية الشعب من ذويه ، كما أن مستشفيات المجاذيب فيها شفاء لداء الجنون الاصيل ، ووقاية الناس من ذويه



الالعاب الاولمبية

حاول اليهود فى الولايات المتحدة أن يثيروا حربا على ألمانيا ويمنعوا الحكومة والهيئات الرياضية المختلفة من الاشتراك فى الألعاب الأولمبية بدعوي أن الالمان قد فرقوا فى السلالات البشرية واضطهدوا اليهود وان ذلك يخالف الروح الرياضى . ولكن الامريكيين لم يعيروا هذه الاقوال التفاتا وقررت جميع هيئاتهم الرياضية أن تشترك فى الالعاب

وقد استطاع الالمان فى الولايات المتحدة أن يثيروا الجمهور عن دعوي الاضطهاد التى تتهم بها أمتهم . فأوضحوا أن اليهود كانوا مستولين على البورصة والقضاء والمحاماة والصحافة والمسرح . وأن الالمان رأوا أن هذا الاستيلاء لايتفق وكرامة الامة فنزعوا منهم هذه المراكز . أما اليهودى الذى يعمل فى التجارة ويرتزق بالطرق المألوفة ولا يحاول أن يتزعم فلا يجد أى اضطهاد . ولذلك فان نحو نصف مليون من اليهود لا يزالون يعيشون فى ألمانيا ولا يشكون شيئا

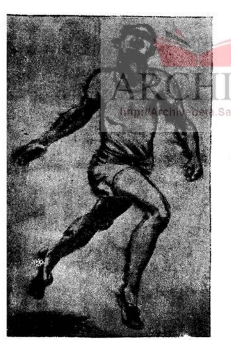
أما ان الالمان يحرمون الزواج بينهم وبين اليهود فلهذا العمل أشبه فى جميع الامم تقريبا . والامريكيون يمنعون زواج الزنوج بالنساء البيض

* * *

لايمكن الالمان ان يتناولوا موضوع الالعاب الرياضية دون أن يعالجوه بالثقافة المحيطة التى يتسم بها الذهن الالماني . ولذلك كثرت المطبوعات الالمانية عن الرياضة

عند الاغريق وعن علاقة التغذية بالرياضة وعن المقاييس المختلفة التي يقاس بها الجهد وتأثير التعب وما إلي ذلك . ولذلك فان كل نشرة تنشرها الهيئات المتصلة بالالعاب الاولمبية هي درس في التاريخ أو الصحة أو الثقافة العامة . ونحن ننقل عن النسخة الفرنسية صورة العداء الانجليزي « لو» وهو في اللحظات الاخيرة قبل بلوغ الهدف . والمتأمل لصورته هنا يعتقد أن الصـورة الفوتوغرافية هي رسم متقن لاحد الرسامين البارعين قد صور فيه الاعياء وارتخاء الاعضاء والجهد الذى يتكلفه « لو » بشق النفس لكى يبلغ الهدف

* * *



العداء الانجليزي لو في نهاية الشوط

زار برلين في الشهر الماضي الكونت بياه لاتور رئيس اللجنة الدولية للالعاب الاولمبية . وقد عقدت له وليمة حضرها رجال الصحافة . وقدكان الكونت لاتور عضوا بهذه اللجنة منذ سنة ١٩٠٣ ورئيسا لها منذ سنة ١٩٢٥ وقد خطب في اطراء الروح الاولمبي الذى يجمع بين الشعوب في منافسة سامية من أجل الصحة والقوة والطهارة . وقد استقبله الرئيس هتلر في برلين

* * *

أخبار اقتصادية

الأدوية الجاهزة فى مصر

ألقى الصيدلي رشيد حداد على جمعية الصيادلة هذه الكلمة

تعلمون أنه بسبب كثرة انتشار الادوية الاجنبية الجاهزة من جهة . وكثرة العيادات المجانية والمستوصفات الخيرية من جهة أخرى(وهذه لا ترفض قبول الاغنياء ومتوسطى الحال فى عيادتها وتعطيهم الادوية مجاناً) قد أصبح الصيدلى لا يجد عملا يستعمل فيه فنه ويمارس مهنته ونسى موضع الخلاصات و الصبغات والعقاقير لقلة الطلب عليها . واقتصر عمله على بيع الادوية الجاهزة المركبة من تلك الخلاصات والصبغات والعقاقير التى يركبها زملاؤه فى جميع أنحاء العالم . كما يفعـل أي مستخدم أو خادم فى أي مخزن أدوية . فهل يرضيكم أن نصل إلى هذا المركز الحقير بعد أن سهرنا الليالى فى الدرس والتحصيل وصرفنا الاموال الطائلة وقضينا زهرة العمر فى المدارس والجامعات . وجزنا الامتحانات القاسية لنيـل دبلوم الصيدلة؟ فعلينا تجاه هذه الحـالة المحزنة ألا نتوانى لحظة فى طلب الاصلاح ونلح على الحكومة بأن تمنع جميع المركبات الاجنبية الجاهزة من الدخول إلى بلادنا صوناً لحقوقنا وحرصاً على مالية بلادنا وصحة جمهورنا . وأما المستحضرات والاكتشافات العلمية التى لاغنى لنا عنها فى الوقت الحاضر فيصرح بدخولها بشرط أن يوضع على غلافها الخارجى الثمن الذي تباع به للجمهور بالنقد المصرى بحيث لا يبيعها إلا الصيدلى . ولا يقل مكسبه منها عن ثلاثين فى المائة . كما هو متبع فى جميع العالم كاليونان وإيطاليا وخلافهما : وإذا تعللت الحكومة بعدم إمكانها تنفيذ هذا الطلب بسبب الامتيازات الاجنبية وحرية التجارة فنسألها أين كانت تلك الامتيازات وتلك الحرية عندما منعت دخول اللوتريةالارلندية ، ولوترية الحكومة الفرنسية إلى القطر المصرى بحجة ضررها بمالية البلاد ؟

وهذه الادوية الجاهزة لا يقتصر ضررها على مالية البلاد فقط بل تتعداها إلى الضرر بصحـة الجمهور أيضاً لأن الجمهور يتعاطى تلك الأدوية بتأثير الاعلان عنها ، وبدون أن يصفهـا له الطبيب وكثيراً ما كان ضررها أكثر من نفعها .

يجب علينا أن نلح فى الطلب لتنقيح قانون الصيدلة الأخير لأن فيه متناقضات كثيرة وإجحافا بحقوق الصيادلة . وأنا أقدم لـكم مثلا عن ذلك التناقض .فقد منع هذا القانون الأطباء من عمل

عيادة فى الصيدلية ، ومع ذلك تصرح الحكومة للأطباء بفتح صيدلية فى عياداتهم . وهذا القانون نفسه قد منع الصيدلي من تركيب برشامة اسبيرين أو بيعها بدون تذكرة طبية لأنه من الادوية الفعالة الداخلة فى الجدول الأول ، وها نحن أولاء نبيع أسبيرين باير بدون تذكرة طبية ، ونراه يباع فى كل دكان من دكاكين البقالين وبائعى السجاير وخلافهم . فما هذا التناقض الغريب؟

ترون أن الحكومة قد شجعت على انتشار الادوية الاجنبية الجاهزة فى بلادنا لانها قيدت أيدينا بفرض ضريبة قدرها ثلاثة جنيهات يدفعها الصيدلى المصرى عن كل مستحضر جاهز يعرضه للبيع وسمحت للمستحضرات الاجنبية بأن تباع فى أسواقنا بدون دفع ضريبة مماثلة . فلولا هذه الضريبة العالية فى هذه الايام العسيرة لكان كل منا يشرع فى تركيب أدوية جاهزة مشابهة لما يأتينا من الخارج وبنصف ثمنها ، نقاوم بها التيار المتدفق من تلك المستحضرات التى تستنزف جزءاً كبيراً من مالية البلاد

مكتب العمل وتدخل الحكومات فى الاقتصاديات

أذاع مكتب العمل (أحد فروع عصبة الأمم) تقريراً عن الحالة الاقتصادية العامة جاء فيه قوله

انتهت السنة الخامسة من سنى الأزمة بدون أن يعقبها الرخاء العام المرجو ، على أن سنة ١٩٣٥ تفضل سابقتها من جهة حصول تحسن ظاهر فى الحالة الاقتصادية . فقد رأينا تناقصاً فى عدد العمال العاطلين فى عدة بلاد ، ونمواً فى المحاصيل ، وثباتا فى الأسعار لحد أن البلاد التى تمتعت بشىء من الرخاء خلال السنة الماضية أخذ الاعتقاد يسود فيها بزوال دولة الكساد واضمحلالها

ولم يحصل فى بلد من بلاد العالم انقلاب اجتماعى واقتصادى مثل الذى حصل فى ألمانيا وأدى إلى شبوب الثورة فيها ، أو مثل الازمة التى نزلت بالولايات المتحدة سنة ١٩٣٣ ، فالحالة الاقتصادية العامة قد يجوز أن يقال أنها سائرة سيراً حسنا ولكنها لا تزال بعيدة عن مستوي الرخاء الحقيقى الذي تمتع به الناس فيما مضى من الزمن

فالنشاط البادى اليوم لا يزال نشاطا سطحيا أكثر منه ثابتا وطيداً ، فالتجارة الدولية لا تزال ضئيلة وان كانت أفضل مما بلغته فى سنة ١٩٣٤ . وهناك أموال وافرة مدخرة لا يستفاد منها بشىء والأسعار وان تكن أثبت من قبل إلا أنها لا تزال عرضة للتقلقل . وفى كل مكان لا يزال الناس يصرون نقودهم ، على صورة مصغرة مما حصل فى عهد أزمة البنوك فى أميركا . أضف إلى كل ذلك أن المعين الدولى للقروض لا يزال جافا . فهذه العوارض وأمثالها تدل على ضعف الشعور بمتانة هذا الرخاء ، أو بضمان استمرار التحسن البادى. ولا جدال فى أن بعض البلاد قد استقرت الحالة فيها

إلا أن غيرها لا يزال فى حالة تقلقل وتذمر . وقد يقال أن بعض الدول قد نجح فى تخفيف وطأة البطالة ، أو فى ازالتها بتاتا ، إلا أن ذلك شاذ . فالعالم فى الاجمال لا يزال يسير بجزع وعناء يتلمس الطريق السوي، فلا يرى فى النظام الاقتصادى الجديد الذي أخذ يبرز إلى الوجود موضع ثقة عظيمة، بل بالعكس لم يكن فى الحوادث التى جرت ما يدل على جدارته بتثبيت أركان السلام والطمأنينة فى البلاد . فما بدا من مظاهر الفرج عندما لاحت أمارات التقرب بين الدول فى أواخر سنة ١٩٣٤ وانتهاء مشكلة السار بين ألمانيا وفرنسا ، دل فى الوقت نفسه على ما يسود الناس والحالة من ريب وغموض ، وهذا من أهم العوائق فى طريق الانتعاش .

ثم أن النجاح الذى ظهر فى بعض الجهات كان نتيجة جهود قومية ، وقصرت منافعه على الميدان القومى ، لكل قوم على حدة بمعنى أن تأثيره كان ضعيفا فى اعادة نشاط التجارة الدولية واحياء المالية الدولية اللتين بدونهما لا يتاح للعالم أن يتمتع برخاء دائم شامل . وقد ظهر فى صيف السنة الماضية فتور فى مساعى الحركة القومية مما كان يصح أن يتخذ علامة على بلوغ القوميات الغاية القصوى من جهودها ودخولها فى دور شعرت فيه بوجوب اعادة تشغيل الجهاز الدولى على أسلوب ينال رضى الجميع ، اذا أرادت الحصول على رخاء أوفر وأتم .

وقد نبهنا فى تقرير السنة الماضية إلى بعض مظاهر الأزمة المالية مما لا غنى للباحث فى المسائل الاجتماعية ، من اعتبارها ودرسها ، فقد قلنا مثلا ، أن تدخل الحكومة فى أمر النظام الاقتصادى والاهتمام بمجرى حوادثه للحصول على أغراض اجتماعية معينة ، أمر لا مفر منه . وقد اشتد إعتقاد الناس بوجوب الاحتماء بنظام اقتصادى شامل حتى أن الحكومات ، اجابت لنداء الرأي العام وأخذت الواحدة منهن بعد الأخرى تهجر موقفها السلبي ساعية للقضاء على أسباب الكساد الذى كان يهدد كيانها الاجتماعى . ومن هنا نشأت فكرة مراقبة السياسة المالية ، وانشاء المشاريع العمومية ، وتوسيع مجال الصناعة التى وضعت الحكومات اسسها ، وأحاطتها بعنايتها ، ومن هنا نشأ مبدأ مراقبة المحاصيل وتعيين أسعارها ، وتسوية التجارة الدولية ، ومعالجة البطالة وتخفيف وطأتها على حساب الأمة . وكان لتدخل الحكومات فى هذه المسائل الحيوية أثر بارز كما شوهد ذلك فى ألمانيا وايطاليا واسوج واليابان والولايات المتحدة وروسيا وغيرها .

وقد تبين مما حصل أن النظام الاقتصادى القديم القائم بذاته يجب أن لا يطلق له العنان اذا عجز أن يضمن للناس حياة اجتماعية ميسرة ، وفى حالة كهذه يتحتم على الحكومات أن تتدخل للمحافظة على مصلحة الجمهور وخيره ، وخصوصا مصلحة الزراع والصناع وهم أكثر الناس تعرضاً لتبعات الكساد وأخطاره .

وقد تضمنت حوادث السنة الماضية ما قد يمكن أن يجعل الحكومة تقلل من تدخلها في الشئون الاقتصادية بعد ظهور بوادر الانتعاش المالي ولكن الذى حصل كان عكس ذلك إذ أدى الى تجدد شعور الناس بوجوب تثبيت النظام وحمايته . فضمان سلامة الدولة ، كما يظهر اليوم ، لايتوقف على منع الاعتداء على حدودها ، بل يتوقف على مقدرتها على أن تضمن أسباب الحياة لجميع رعاياها بصورة كافية مطردة .

وما مضى يدلنا على اشتداد ميول الطبقات الراقية الى ضمان الفوائد المادية والادبية التى يعدونها عنصراً مهماً فى كيان الحضارة العصرية . لم يكن للناس قديماً أنظمة اجتماعية معينة لمعالجة الازمات الاقتصادية إذا وقعت لانهم كانوا يعدون البطالة والفقر والكساد من مصائب الدهر التى لابد لهم من النجاة منها . أما اليوم فالناس لا يصبرون طويلا على احتمال هذه الرزايا وأشباهها ، ويرون من حقهم على الدولة أن تضمن لهم عيشاً هنيئاً سعيداً قائماً على تدبير منظم جامع

فمطالبة الحكومة بوجوب التدخل لحل مشاكل الحياة الاقتصادية أمر معقول أيدته حقائق راهنة ، منها أن العوز الحاصل اليوم لا يعود فى أسبابه لخلل فى ناموس الطبيعة ، بل لعجز فى ناموس البشر ، عن جعل خيرات الطبيعة كافية لجميع الذين هم بحاجة اليها . ففى حالة حصول أزمة اقتصادية ناجمة عن قحط أو طوفان أو وباء يتعذر التفادى من نتائجها ، لا يطلب من اولى الامر عندئذ الا توزيع ما تصل اليه أيديهم من الميرة على المنكوبين بصورة عادلة سوية . ثم أن مشكلة النقص فى المحصول قد حلها العلم وساعد على هذا الحد سهولة تبادل المتاجرين جميع دول العالم . فلا يجوز إذن أن يجوع مخلوق فى وقت تفيض فيه المواد الغذائية والمواد الخامة وتزيد على المقدار اللازم للاستهلاك . وبينما نرى الفلاح لا ينال أجراً عادلا على اتعابه ، نرى ملايين من البشر يتضورون جوعا لصعوبة الحصول على المواد الغذائية التى يقدمها هذا الفلاح جاهزة أمامهم لتناولها فهذا التناقض الغريب هو الذى حمل الناس على مقت النظام الاقتصادي ونبذه . وعند الناس اليوم حجة لا تدفع وهى . يجب حيث يزيد العرض على الطلب أن توزع هذه الزيادة على أدق منوال وافيده للجمهور وأن هذا التوزيع مستطاع أمره وسهل تنفيذه اما أن تبقى الامور جارية على نظام مجحف مضر . فأمر لا يحتمل وخصوصاً إذا اعتبرنا ما بلغه البشر من الرقى فى العلم والحضارة ولذلك فيحق للناس أن ينتظروا اليوم من الحكومات أن تخصص . لتوفير أسباب الراحة لرعاياها وضمان حصولهم على ما يحتاجون اليه من غذاء ولباس ومسكن . شيئاً من الجهود والعناية والاهتمام التى تبذلها بسخاء على تنظيم المواصلات الجويه مثلا . أو تحسين مناطق الدفاع وتحسين آلات اللاسلكى .

وهذه الظاهرة النفسية العميقة فى مطالبة الحكومات بتدخلها فى المسائل الاقتصادية . وتعليل هذه المطالبة . تعد من أبرز العبر التى أدت اليها حالة الكساد . وقد أدركت حكومات العالم ضرورة انتهاج خطة جديدة لمعالجة الازمات الاقتصادية . وشعر كل منها بما شعر به موسولينى وأطلق عليه « الانتقال من النظام القديم على أساس فائدة الفرد إلى نظام جديد يرمى لفائدة المجموع » وشبيه بهذا ماورد على لسان روزفلت عندما فسر مدى هذا التنقل بقوله « الى ان تصبح المصلحة الاجتماعية فوق المصلحة المالية المجردة لانها أهم من هذه وألزم » .

وقد صرح عدد كبير من أقطاب السياسة فى بلدان العالم بان الامن الاجتماعى مفروض على الحكومات الاهتمام به اهتمامهم بأمر الأمن السياسى على حد سوى . واعتقاد الناس اليوم أن « المقام القومى للحياة » يجب أن يكون فى مقدمة مهام الدولة لتثبيته بدلا من أن تعبث به التقلبات الاقتصادية كلما هبت رياحها . هذا هو الباعث الحقيقى لمطالبة الحكومات بوضع نظام للحالة الاقتصادية . وليس المقصود بهذا النظام زيادة الكفاية رغبة فى زيادة المحصول أو ايجاد أسواق لتصريف أكبر حصة ممكنة منه كلا ! بل الغاية الاولى منه هى اجتماعية ، ليست لتوفير أسباب الثروة فقط . بل لايجاد أفضل وسيلة لتوزيع هذه الثروة . وللاحتراس من اتلاف كل ماله قيمة مادية اجتماعية . وهذا يقودنا إلى الغرض العام المنشود وهو كما يعبر عنه روزفلت « حل مشكلة قلة الاستهلاك ، أو جعل الانتاج مساويا للاستهلاك . ومشكلة توزيع الثروة والمحصول بصورة عادلة . ثم مطابقة النظام الاقتصادى الحالى لمصلحة الشعب » .

وقد نبهنا فى تقرير السنة الماضية إلى أن التشريع الاجتماعى وتنظيم الانتاج وتوزيعه بواسطة هيئات رسمية . ثم قيام الحكومة بالمنافع العمومية . ومراقبة المبادلة التجارية مع تحديد الأسعار والكميات . كل ذلك لا يتم الا بواسطة تداخل فعلى دقيق فى سير العوامل الاقتصادية . وقد شاهدنا فى السنوات الأخيرة تدخل فرنسا والمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة فى شئون البلاد الزراعية : وارجنتين واستراليا والمانيا وبريطانيا واليابان واسوج والولايات المتحدة فى المسائل المالية . ثم النظام الصناعى الجديد الذى اعتمدته إيطاليا والولايات المتحدة . وما قامت به عدة حكومات لتنظيم الأعمال العمومية وتفريج ازمة العمال . كل ذلك يدل على ان الحكومات اليوم قد هجرت هجراً تاماً السياسة القديمة القائلة باطلاق الحرية لاعمال الناس .

أخبار اجتماعية

معجم ثورندايك للصبيان

من أهم المسائل التي يعني بها كبار المربين في انجلترا وأمريكا تأليف كتب في شتي الموضوعات تتلاءم وحاجات الصبيان واستعدادهم بحيث يستطيعون استساغتها ويتشوقون الى قراءتها والرجوع اليها . وليس وضع كتاب من هذا النوع من السهولة بمكان . اذ ليست مهمة المؤلف اختزال كتاب من الكتب الكبيرة أو تبسيط الفاظه وحسب ، وانما عليه أن يدرس سيكلوجية الصبي دراسة نظرية وعملية قبل أن يقدم على وضع كتاب من هذا النوع

أمامنا الآن قاموس جديد من نوعه تأليف زعيم علماء النفس في أمريكا : الاستاذ ثورندايك قاموس جديد للغة الانجليزية لسد حاجة صغار الطلبة في هذا العصر

The Thorndike Century Junior Dictionary (D. Appleton Century & Co. New York, 1935).

قد يستغرب القارىء أن تبسط هذه المجلة بعض صفحاتها للتحدث عن قاموس من القواميس . فالقواميس في نظره متشابهة تشابها تاما بحيث يخيل اليه أنها منقولة بعضها عن بعض . وهي قليلة الاهمية فهو قلما يلجأ اليها واذا لجأ اليها فسرعان مايضيق بها ذرعا ويطرحها جانبا الى حيث لايرجع اليها — مع ما في ذلك من الخطر الشديد على ثقافته إذ أن كل شخص متعلم في حاجة مطردة الى زيادة محصوله من الالفاظ . فالالفاظ كالجنود لايتم لها الظفر في تفهم المعاني والتعبير عنها الا إذا تكاثرت وشد بعضها أزر بعض . ولكنا مع ذلك نعذر القارىء بعض العذر في نفوره من القواميس واضرابه عن استعمالها فكثيرا ما يلتبس عليه المعنى وكثيرا مايضيع وقته سدى وكثيرا ما يعاني البصر من التعب والجهد في تصفح القاموس والبحث عن الكلمة ومعناها

أما الآن وقد ظهر هذا القاموس النفيس لثورندايك فقد انتفى بظهوره كل التباس وكل ضياع وقت وكل تعب وجهد يصيب البصر ويضره

يرى ثورندايك أن ما يحتاج اليه الصبى من الالفاظ فى حياته التعليمية لايخرج عن ٢٣٠٠٠ كلمة . وهذا الـكلمات يختلف بعضها عن بعض من حيث مقدار ذيوعها ومقدار أهميتها . ولذا عمد الى تقسيمها الى مجموعات مستعينا فى ذلك ببعض كبار اللغويين . فمجموعة (١) تشمل الفا من الالفاظ الأكثر شيوعا . ومجموعة (٢) تشمل الفا من الالفاظ الاقل شيوعا من الاولى وهـكذا . وبذلك يستطيع القارىء أن يدرك لأول وهلة مقدار أهمية الكلمة ودرجة انتشارها

وطريقة ثورندايك فى تفسير المعاني طريقة جديدة لم يسبقه فيها أحد فيما نعلم . فثورندايك يعلم أن الصبى لايهمه ترتيب معانى الـكلمة حسب نشوئها التاريخي أو حسب انطباقها على قواعد النحو والصرف . وانما يهمه أن يفهم المعنى الحرفى قبل المجازى ، والعام قبل الخاص ، والشائع قبل النادر ، والسهل قبل الصعب . ولذا يراعى ثورندايك هـذه الاعتبارات كلها فى تفسيره معـانى الـكلمات بل ويعمد — زيادة فى الايضاح — الى استعمال كل كلمة فى جملة مستعينا فى ذلك بالصور والرسوم المختلفـة ، مرتباً كل معنى حسب درجة أهميته ومرتباً كل كلمة حسب درجة شيوعها

ويمتاز قاموس ثورندايك زيادة على ذلك بتعليمه النطق والهجاء . فنحن لانعهد فى القواميس العادية أى ذكر للاسماء التى يتغير هجاؤها فى حالة الجمع أو حالة التأنيث ، أو أى ذكر لاجزاء الفعل المختلفة كالماضى والمضارع واسم الفاعـل واسم المفعول أو أى ذكر لاسماء الاعلام . أما فى هـذا القاموس فيتسنى للصبى أن يدرك أن جمع

ox, oxen و knife, knives و baby, babies

وأن تصريف stop, stopped, stopping و lose, lost, lost, lost, losing

يرقد lie, lay, lain, lying — ويكذب lie, lied, lied, lying

وأن الصفة فى حالة التفضيل قد تصبح هكذا

easy, easier, easiest و happy, happier, happiest

وهكذا يرشد هذا القاموس كل من لجأ اليه — صبيا كان أو راشدا — الى معرفة هجاء كل كلمة موجهاً عنايته الي عدم الوقوع فى الاخطاء الشائعة فى هجاء الـكلمات الانجليزية — الامر الذى يشكو منه المدرسون عادة مر الشكوى

هذا ومن أهم ماعنى به ثورندايك فى وضعه هذا القاموس مسألة صيانة العين من الجهد والتعب الذى تلاقيه فى تصفح القاموس وفى البحث عن الكلمة ومعناها . فحجم الكلمة والمسافة بين كلمة وأخرى وترتيب صفحات القاموس من الخارج على حسب الحروف الهجائية . كل هذا يكفل للعين الصيانة التامة من التعب والجهد

وهناك ثمة غرض آخر يرمي اليه ثورندايك من تأليفه هذا القاموس . ولعل هذا الغرض هو أهم مايرمي اليه ثورندايك . فهو لا يكتفى بمجرد تعليم الصبى معنى الكلمة وهجاءها ونطقها ولا يكتفى بحفظ نظره من التعب وانما يهتم قبل كل شيء بالناحية النفسية للصبى . يهمه أن يحب الصبى القاموس ويلجأ اليه ويطمئن له ولا يسأمه أبداً وبذلك يزيد محصوله من الالفاظ باطراد وتتكون عنده عادة البحث والاعتماد على النفس فينشأ محبـاً للقراءة شغوفاً بالبحث يعتبر الكتاب صديقه الاول والقاموس صديقه الثانى

جرجس ميخائيل

مبادىء القراءة والكتابة فى التعليم

بحث فلسفى للسيدة المربية الدكتوره مارى منتيسوري من محاضرات القتها فى كلية المعلمين بلندن

الكلمة رفيقة الفهم المدهشة ، وقوته الخفية ، والكلام أعجب ما فى الانسان وأشد ما فيه قوة وعظمة . وكل ما يدور فى ذهن المرء يصبح ثابتاً منتظماً متى وجدنا الكلمة المناسبة للتعبير عنه . والطفل الصغير بطبيعته شديد الميل الى تفهم الكلمة ، كثير الشغف بادراك معناها قبل النطق بها بزمن طويل . ترى الطفل الذى عمره أربعة شهور يتطلع أحياناً الى حركة شفاه الذين يتكلمون وكثيراً مانراه بعد هذه السن ينصت بولع شديد الى محادثة الكبار ، كأنه يريد أنه يختلس منهم تلك الاشياء المبهمة الخفية التى يسمونها الكلمات

فدور الطفولة فى الحقيقة دور حساس يشتد غرام الطفل فيه بالكلمات ، فلا تكاد تمضى ثلاث سنوات ونصف من حياة الصغير حتى يقبل على حياة جديدة فى المدرسة وهو مزود بعدد وافر من الكلمات التى يفهم بعضها ولا يفهم الآخر

وهذا الميل الطبيعى وهذا الدافع الغريزى فى الطفل شديدان جداً حتى أن المعلم الذى يتبع

طريقة منتيسورى لا يفكر فى عدد المفردات التى يجب على الطفل الالمام بها ، ولا يعبأ بمقدار مايحصله الطفل منها غير أنه يعبأ . بما يتعلمه تلميذه من سر الكلام ودلائله العميقة

أما الكتابة بحكم المنطق وطبيعة الحال فقد جاءت سابقة للقراءة ألا يحدث كثيرا أن الطفل يستطيع أن يرسم الكلمة كتابة ولكنه يعجز عن قراءتها ؟ يجد الطفل - فى طوره المدرسى الاول - فى فن الكتابة ما يسحر لبه ، ويفتتن بايجاد الحرف الذى يعبر عن الصوت ومخرج اللفظ تعبيراً صحيحا ، بغض النظر عن مدلول الالفاظ ومعانى الكلم . فالحروف عند المبتدىء كصندوق الموسيقى الذى يلعب به الصغار - يضغطون مفاتيحه فيخرج منه صوت موسيقى عذب . لهذا يحب الطفل بطبعه أن يبنى الكلمات بعد تحليل الاصوات التى تتكون منها

أن الكلمة الايطالية « io » معناها « أنا » والكلمة « zio » معناها « عم » وعند ما يبدأ الطفل تعلم هاتين الكلمتين ، ينظر الى الحرف « z » الصغير كأعجوبة خارقه للعادة لأنه يحول ضمير المتكلم الى « عم » بهذه السهولة

وعندما شرعت فى نشر طريقتى فى المعهد الذى كنت أديره فى روما ، شك المعلمون فى امكان تعليم الاطفال فى الرابعة والخامسة من أعمارهم كتابة الكلمات بمجرد سماعها . وقد دهشوا عندما وجدوا الصغار يكتبون مايملى عليهم من الكلمات الصغيرة أولا الى الكلمات ذات عشرة المقاطع بعد ذلك . وكلما كانت تجىء حصة الكتابة كان يندفع الاطفال فى عملهم بشغف لاحد له ، وسرعان ما تعلموا كيف يحركون أناملهم برشاقة طبيعية ، من تلقاء ذواتهم ، وما هو أهم من ذلك وهو تحليل الكلمات الى أصوات ومعرفة الحرف الذى يقابل كل صوت منها

* * *

أما فن القراءة فأصعب بكثير من فن الكتابة . لاننا عندما نكتب نعرف عادة الكلمة التى نكتب ، أما عندما نقرأ فاننا نحاول استكشاف الكلمة التى نقرأها . وقد كنت أتغلب على هذه الصعوبة فى القراءة فى مدرستى الاولى فى روما باستحضار الاشياء التى تدل عليها الالفاظ وكتابة أسماء هذه الاشياء على بطاقات ملصقة بها . (كقلم وكرة من خشب وصورة ومسطرة وحذاء) ثم أسأل الطفل أن يقرأ الكلمة المكتوبة بعد النظر الى الشىء المحسوس المعلوم لديه . وبعد قليل أصبحت هذه الكلمات محفوظة فى ذهنه واستطاع قراءتها بغير أن ينظر الى الشىء المحسوس

محاكم الصبيان فى باريس

كتب الاديب الفرنسى المعروف بييروولف فى بعض مذكراته يقول :

لم أكن أذهب إلى محكمة الصبيان لأقضى فيها الساعة والاثنتين عبثا ، بل كنت أذهب لاتعلم فكان جد ما يروقنى هناك الرئيس فلورى يسأل الصغار المذنبين ويبدى جانب الرقه أحيانا ويضخم صوته ويرفعه ويزمجر أحيانا ولكنه يسمع الاعترافات والاقرار بحلمه المشهور

كنت يوما فى هذه المحكمة فرأيت أربعة من الصبيان لا تزيد سن أكبرهم على سبع سنوات فأقبل عليهم الرئيس وقال أى ابليس منكم هو رئيس العصابة ؟ أأنت أيها الشيطان (وأشار إلى أحد الاربعة)

قال المشار اليه كلا ياسيدى الرئيس لست الزعيم بل فيرمان

قال فيرمان كلا ياسيدى الرئيس بل هو بوليوس

وكانت أمهات هؤلاء الاطفال قد وقفن وراءهم فصاح فيهن الرئيس فلورى

وقال مارأيكم فى هؤلاء الابالسه من الصغار الذين سرقوا لحما من افريز برسى وضبطوا

فانبرت أم أصغر الصبيان وتقدمت باكية تقول ألا تعفو يا سيدي الرئيس فى هذه المرة . ان اليوم يوم أحد !

وقدمت ابنة صغيرة تعمل فى مصبغة وتهمتها أنها سرقت من عاملة أخرى من زميلاتها قطعة من ذات المئة من الصلديات . وشهد مراقب المحل أنها أخفت القطعة فى مكان قريب من باب المصبغة لتأخذها عند الخروج . فلم يطق أبوها هذا الاتهام . وصاح فى المحكمة : أمن الممكن أن يقع هذا من ابنتى . فرأى الرئيس أن هذا الوالد تخطى واجب الاحترام للمحكمة . وأمر بوضع الغل فى يده فالتفتت ابنته المتهمة اليه وصرخت تقول أبى أبى ياسيدى الرئيس مسكين أبى

قال الرئيس وقد رأى أنه أفرط قليلا فى الشدة : اذن اعترفى وأنا أطلق سراحكما . قالت أعترف ياسيدى الرئيس أننى سرقت ١٠ فرنكات . . بل ١٠٠ فرنك فأطلق أبى وعاقبنى . فأطلق الرئيس سراح الاثنين

تقدم العلوم والفنون

الزبد

الزبد هو أحد الاربع الروائح ذوات الاصل الحيواني المعروفة والمحبوبة عند صانعي الروائح وتفرزه حيوانات صغيرة تسمى قطط الزبد. وكان يسمى قديما ضبع ارستطاليس. وظنه البعض قطاً برياً. وتوجد أربعة أنواع

. ففي أفريقيا (Civet Cat) وفي آسيا (Zibette) وفي سومطرة (Tangalunga) وفي الهند (Rasse) ولا يربى هذا الحيوان لمادته المرغوبة إلا في أفريقيا وآسيا . وهو في أفريقيا في حجم الثعلب . له فروة رمادية اللون ذات نقط سوداء ويوجد في المنطقة الاستوائية ، في سنغال وغينا والحبشة حيث سوق الاتجار بمادته . وهو لا يربى في أديس بابا ولا فيما بجوارها من البلدان ولكنه يوجد في ولميجا ودجما وكافيا من مقاطعات الحبشة

لا يربى الحيوان كما يفهم من كلمة التربية وكل ما في الامر أنه يصطاد ويوضع في أقفاص حيث يطعم باعتناء لان كمية الزبد تتوقف على اختيار الطعام وصحة الحيوان. وغذاؤه اللحم الطازج . ويفضل الضأن واذا كان طعام الحيوان من الطيور الداجنة كانت مادة الزبد تكاد تكون بيضاء ومن نوع فاخر . ولكن قلما يحدث ذلك لغلاء الطيور

جيوب الافراز قريبة من أعضاء التناسل في كل من الذكر والانثى ولكي تجمع المادة المفرزة يشد وثاق الحيوان في قفصه الذي يفتح من الاسفل وتؤخذ محتويات الجيوب بواسطة ملعقة من العاج وتكرر هذه العملية مرات كثيرة في الاسبوع ومتوسط الانتاج من ثلاثة إلى أربعة جرامات في الاسبوع . وهو في الذكر أحسن نوعا وأوفر كمية . ويزداد حين يعاكس الحيوان أو يخوف

وطريقة الاتجار في الحبشة هي أن يصطاد الوطنيون الحيوان . ويبيعوا الزبد للتاجاديس وهم صغار التجار أو مندبو المصدرين . ويرسلونه لأديس بابا لأنها عاصمة الحبشة . ومنتهى الخط الحديدى المبتدىء من جيبوتي على البحر الاحمر . وتسير القوافل من داخل المملكة إلى العاصمة

محملة بالخام من جلود وشمع وزبد وحاصلات من عسل وحبوب ثم ترجم بالاقمشة والمنسوجات والمشروبات . والزبد يجد الاسواق الرائجة فى فرنسا ثم فى الولايات المتحدة وانجلترا وتستهلك اليمن جزءاً منه

والزبد مادة سائلة تقريبا لها لون أصفر ولكنها حين تتعرض للهواء أو تمكث كثيرا يزداد قوامها صلابة ويسمر لونها . وهو مادة دهنية ناعمة ، متجانسة ، لها رائحة كريهة . واذا خففت كثيرا جدا تكون أكثر قبولا

وهي لازمة فى الروائح لما لها من قوة كبيرة فى التثبيت وطعمها مر ويكاد يكون حريفا . والزبد غير قابل للذوبان لافى الماء ولا فى الاحماض ولا فى القلويات ودرجة ذوبانه متفاوتة فى الاثير البترولى وفى البترول والكلوروفورم والاسيتون وأقل ذوبانا فى الكؤول الاتيلى والكؤول الميثيلى وهو أكثر ذوبانا وهو دافىء

والزبد الخالص يوجدهذا النوع فى التجارة وهونفس الزبد الا انه بدون أكثر المواد الدهنية التى توجد طبيعيا معه . وهو يحتوى على كل العناصر التى تكون رائحه الزبد وقوته أكثر بقليل من ضعف قوة النوع الطبيعى . وهوقابل للذوبان فى الكؤول وفى الزيوت الثابتة وفى المواد المذيبة المستعملة فى صناعة الروائح

الزبد الشبه والواتنجى وهو بين الزبد الخالص والزبد الطبيعى . وهكذا أصبح من الممكن بواسطة الصنفين المذكورين أخيرا أن نحضر محاليل كئولية أو غير كئولية للزبد بأى نسبة كانت .

عبد العزيز عبد الرحمن

الثوم وضغط الدم

تقوم شركات التأمين بابحاث طبية تقصد منها الى فوائدها المالية ولكنها مع هذا القصد الخاص تهتدى الى حقائق تخدم الصحة العامة . وهى التى عممت النحافة وأوضحت للجمهور مضار السمن لانها أثبتت أن النحاف أطول أعمارا من السمان

وقد قامت احدى شركات التأمين الامريكية ببحث خطير عن ضغط الدم العالى ووجدت أنه بمقارنة الامريكيين بالصينيين نجد أن الضغط عاليا عند الاولين منخفضا عند الثانين . ويعزى

السبب لهذا الفرق الى أن الامريكيين لغناهم يأكلون مقادير كبيرة من المواد الازوتية كاللحم والبيض والجبن فى حين يعجز الصينيون لفقرهم عن الحصول على هذه الاطعمة ويقنعون بالخبز والرز والبقول وعند مايهجر الصينى بلاده ويعيش فى أمريكا ويأكل ما يأكله الامريكيون من المواد الازوتية يرتفع ضغط الدم عنده . وهذا يدل على أن اللحم والبيض والجبن تزيد الضغط

وقد قام بعض الاطباء الروس بتجارب فوجدوا أن الثوم سواء أكل نيئا أم مطبوخا يخفض الضغط . والمظنون أن السبب لذلك انه يمنع التعفن فى الامعاء الغليظة . وهذا التعفن يسمم الجسم ويزيد الضغط . بل ربما كان الضغط الحادث من اللحم والبيض والجبن منشأه هذا التعفن فى القولون أى الامعاء الغليظة . فان المواد الازوتية يسرع اليها التعفن بخلاف المواد النشوية أو الدهنية فان التعفن فيها بطيء وقليل

زواج الاخ بالاخت

المشهور بين العامة أن زواج الاقارب ليس حسنا وانه لايتفق وصحة الابناء . وهذا هو الواقع اذا كانت الاسرة تشكو عاهة أو نقصا أو ضعفا وراثيا لان الزواج هنا يؤكد الصفة السيئة ويزيدها سوءا . ولكن اذا كانت الاسرة حسنة ليس بها عيب وراثي فان الزواج بين أفرادها يؤكد صفاتها الحسنة أيضا

ومما يدل على ذلك ان كليوبطرة التى تزوجت أخويها واحدا بعد آخر كانت هى نفسها سليلة اربعة أجيال كان الاب والام فى كل منها أخوين . وقد كان فى اسر الفراعنة من الملوك من كانوا يتزوجون باخواتهم ثلاثة عشر جيلا متعاقبة ومع ذلك لم تبد فى النسل أية علامة سيئة . بل انقطع زواج الاخ بالاخت لأن الجيل الاخير كان مؤلفا من ذكور فقط ليس بينهم بنات

فرخة بلا رأس

فى ١٢ نوفبر سنة ١٩٠٤ كانت طاهية فى احدى مدن متشيجان بالولايات المتحدة تذبح فراخا . وذلك بفصل الرأس من العنق . وبعد أن انتهت من الذبح وشرعت تغمس الفراخ المذبوحة فى الماء الساخن لتنظيفها نظرت حولها واذا بفرخة تسير فى المطبخ وليس لها رأس . وذعرت الطاهية وخرجت من المطبخ صارخة

وبعد التحقيق وجد أن هذه الفرخة لم تمت على الرغم من فصل رأسها . وكان الطعام يوضع في حوصلتها بانبوبة تدخل فى المرى . وبقيت الفرخة حية ١٧ يوما وكانت ترفرف بجناحيها وتلوي عنقها كأنها تريد أن تنتتف . ولم تمت عفوا وانما حدث أن الدم جمد على قصبة الرئة فاختنقت وماتت

هذه هى القصة التى قرأناها . والذين شاهدوا الدجاج وقت ذبحه يعرفون أنه يبقى مدة طويلة وهو حى بعد قطع المرى والقصبة ، وهو لايموت الا بالنزف . ولكن يجب أن يلاحظ أننا لانفصل الرأس من الجسم . وهذا الفصل يقطع عصب الفقار المتصل بالمخيخ . ولذلك نحن نرجح أن الذبح لهذه الفرخة لم يفصل الرأس من العنق تمام الفصل بل ترك المخيخ . وأن هذا هو السبب لبقاء الفرخة حية طول هذه المدة

وفاة برستد

مات فى الشهر الماضى العالم الكبير برستيد . وكان اكبر مصرلوجي وأعظم ثقة فى تاريخ مصر القديم . وقضى أكثر من ثلاثين سنة فى مصر يبحث وينقب عن تاريخ الفراعنة وما قبلهم . وقد لخص له الاستاذ بشرى الضبع كتابه الاخير « فجر الضمير » فى هذه المجلة قبل أشهر . وكان برستد من القائلين بان مصر هى التى اخترعت الحضارة للعالم . وأثبت ذلك بمقابلات بين الفنون عند مصر وعند الامم الاخرى . ومن أقواله في كتابه « فتح الحضارة » لقد ثبت نهائيا أن الحضارة ظهرت أولا فى مصر

ولما نقل المسيو كابار رئيس المتحف المصرلوجى فى بروكسل عاصمة بلجيكا كتابه عن تاريخ مصر قال فى المقدمة انه ليس هناك أحد له الحق أن ينقح أو يبدل في هذا الكتاب ما لم يكن برستد نفسه . وليس المسيو كابار من العامة اذ هو مصرلوجى أيضا وشهادته هذه تدل على مكانة برستد

وبرستد امريكي وكانت الجامعات الامريكية وخاصة جامعة شيكاجو تقوم بنفقات التنقيبات التى يشرف عليها فى مصر . وقد مات فى نحو السبعين

حديث الأدب والأدباء

امندصن

من مقال للاستاذ حسين مؤنس في روز اليوسف

بحار واسعة كأنها الآمال ، وثلوج متراكمة كأنها الجبال ، ورياح تسفع وتعصف وأمواج تشتد وتعلو . . وصقيع يمزق الأجساد تقطيعاً . . وسفين حائر مضطرب . . تتقاذفه الأمواج فتعلو به حينا وتهبط به حينا . . وتصفو له آنا وتعبس له أنا . . وشراع عاجز ما ترق له الرياح وماتشفق عليه ويلقى من شرها مايلقى . ونفوس أعزها الله بالأمل . . وأمدها الله بالصبر وأوسع لها فى رحاب النصر . . فانحدرت الآلام عنها وصغرت العقبات فى ناظرها ، وزادها الله قوة وزادها الله أملا . ونفوس أخرى بعيدة والهة حرى تتطلع الى السفين وأنها لتشفق عليه إشفاقا شديداً . . وتتبع الراحلين وأنها لتذوب رقة . . وصحافة تتنسم الأخبار وتتسقط الروايات لتطمئن الحيارى وتوقظ الآمال . .

تلك هى رحلة امندصن الثانية إلى القطب الجنوبى . .

وكان الرجل قد استقر فى مقدمة سفينته يسرح الطرف فى هذا الخضم الواسع المديد وقد اتخذ هيأة القدماء من ملوك الجرمان الاعزاء . . وأنه ليتراءى كواحد منهم . . فى هذه الهيئة الجافية وتلك النفس التى جمع الله كل جمالها فى قلوبها . . فى دروعه وسيوفه ونفسه المشرئبة للمغامرة والفتح وهذا هو البرد يقسو عليه فيبتسم . . والتعب يشتد فيزداد فرحا . . لقد ظل طوال ما انقضى من عمره يحلم بهذا . . وقد أدركه !

اراد له أبواه أن يكون طبيباً ، وأرادت له المقادير أن يكون بطلا . . فنقلت على نفسه دراسة الطب وطلب الملاحة واخذ يدرسها على أربابها من عباقرة الملاحين الشماليين ، ولم يكد يقوى كيانه حتى قام ورفيقا له برحلة يجتازان بها اسكنديناوة من الشرق للغرب . وكاد الفتى الناشىء يهلك فى هذه المغامرة . . انقطعت عنه الازواد أياما أربعة حتى أرسل الله اليه العون فانقذه إذ هو على حافة القبر . ثم ارتقى فى سلك الملاحين حتى أصبح الضابط الاول فى السفينة « بلجيكا » التى كان يقودها دى كرلاشى لكشف قارة الانتاركتيكا سنة ١٨٩٧ ، وصحبه فيها طائفة من أنبغ الكاشفين من أمثال اركتوسكى وأضرابه

كانت هذه الرحلة ضربا من البطولة وان لم يكتب الله لها النجاح ، تلكأ الرحالون طويلا فى جزيرة الغار « تيراد لفويجو » ولم يكادوا يقربون من الانتاركتيكا حتى دهمهم الثلج وحصرهم حصراً شديداً . . وظلوا فى قبضة يده عاما كاملا ! حتى كتب الله لهم الفكاك فعادوا أدراجهم وقد أنهكهم التعب وأضر بهم طول الكفاح . . وأفاد الفتى امندصن فائدة عظمى . . وعرف عن جو الاقطاب وبرده وليله ونهاره ما نفعه أكبر النفع فى رحلاته التالية

ثم سمت نفسه إلى الرحلة بمفرده . والى القيام بمغامرة تقترن باسمه ، ولكن المال أعوزه وكم يعوز المال الأبطال ! . ولكنه يحتال له تدبيراً . . ويجد فى طلبه جهداً وتقتيراً . . حتى أمكنه أن يشترى سفينة قديمة حمولتها خمسون طنا ، ثم عكف عليها يصلحها ويدبر لها العدة لرحلة طويلة مقبلة ثم أقلع بسفينته وعبر البحر المنجمد الشمالى حتى أدرك جرينلاند أي الأرض الخضراء . وهناك عكف هو ورفاقه على تتبع خطوات شاكلتون الامريكى الذى كان قد سبقهم الى تلك الجهات هناك قاسوا من الثلج الأمرين . . حصرهم فى الشتاء ثم أقبل الصيف فاخلى لهم السبيل ثم عاد الشتاء فاحاط بهم الجليد فحبسهم شتاء آخر . وأقبل الصيف فعبروا المحيط الاطلسى فلقيهم الناس مهللين فرحين . ودعاه الأمريكيون إلي بلادهم فذهب الى هناك وحاضر الناس وكسب من ذلك ما مكنه من وفاء الديون التى كان قد اقترضها فى أثناء هذه الرحلة .

هنالك أدرك الناس قدر هذا الرجل فاعطاه الامريكيون السفينة « فرام » واعدوها له بكل ما يلزم الرحلات الكبيرة من عتاد . وأخذ من يتأهب لكشف القطب الجنوبى . ولكن انظر أن القدر لا يريد له هذا المجد . ها هى الاخبار تترامى والانباء تتوالى . أن بيرى الامريكى قد أدرك القطب الشمالى ورفع عليه الراية الامريكية سنة ١٩٠٩

لم يفت هذا فى عضد امندصن وأن كان قد نال من عزائم كل المستكشفين فمضى يعد المعدات لرحلة بعيدة لم يصارح أحداً من رفاقه بامرها . . ثم شد رحاله ولا يعلم أحد وجهته واتجه صوب الجنوب حتى اذا أدرك جزائر ماديرا فأفصح لزملائه عن غايته وأنبأهم أنه ماض بهم إلى الانتاركتيكا وكان الناس يظنون أنه مول وجهه شطر مضيق بهريج ، وأراد هو أن يستأذن الكابتن سكوت الانجليزى الذي كان يعمل فى كشف هذه القاهرة فارسل له رسالة لاسلكية لم تصله . ومضى امندصن فى هذه الرحلة التى بدأنا فيها الحديث . ومضى الرجل فى صبر حتى إذا كان الرابع عشر من ديسمبر سنة ١٩٩١ فقد أعلن الناس أن امندصن قد وصل القطب الجنوبى ورفع عليه الراية النروجية

ولكن الخير لم يأته خالصا وانما شابته مرارة قليلة . . لقد مات منافسه سكوت فى هذه المحاولة فحزن من أجله حزناً شديداً ، وملكه من ذلك هم ناصب وحزن لاعج ، فانصرف عن العمل حيناً

ورغب عن الشهرة حتى لقد رد إلى الجمعية الملكية وسامها الذهبي الذى كانت قد منحته اياه . ثم جاءت أيام الحرب فاوقفت مشاريعه وسخط عليها سخطا حدا به الى رد النياشين التي كان قيصر ألمانيا قد منحه اياها .

ثم خطر له بعد ذلك أن يستعمل الطيران فى ارتياد القطب ، وأخذ يعد العدة ، وفى هذه الاثناء طاف على قدميه من سبتزبرجن الى يوم مسافة طويلة أجهدته اجهادا شديداً

وجمع الله عليه عليه مجازفا امريكيا طياراً اسمه لنكولن الذورث ، استطاع بمعاونته أن يصل إلى خط ٨٨ شمالا . . وأن يقف على بعد ١٢٠ ميلا من القطب . . ولكن الرياح شلت حركته تماما ، وهددته بقطع الامداد عنه وعن رفيقه وكان قد اتخذ جزيرة سبتزبرجن مركزاً لحركاته فعاد اليها مسرعا . ثم بدأ يستعد مع لنكولن من جديد لرحلة مقبلة . ولكن المقادير تعاكسه مرة أخرى . إذ يشرع بيرد الأمريكى فى رحلة جوية للقطب الشمالى ، ويدركه ويعود قبل أن تهم سفينة امندسن بالطيران

وكثر فى حسابه المنافسون وصار ارتياد القطب سباقا بين المغامرين ، شرع الطيار الايطالى ويلى فى قيادة رحلة جوية هائلة لارتياد القطب ، ولكن الحظ خانه فارتطمت طائرته « ايطاليا » وتحطمت قبل أن يبلغ القطب .

هنالك نهض امندسن لينقذ منافسه البطل ، فاقلع فى ١٨ يونيه على سفينة فرنسية مع أربعة من الملاحين على رأسهم القبطان جلبو . .

ومضى الرجل لينقذ البطل التائه . .

ولم يعد إلى يومنا هذا . .

